– Amazing Tales –

حكايات مدهشة

فلتحذروا: أنتم في يد كاتب لا يرحم ولا يهتم. سيجفف الدم في عروقكم . . . وعندما تنهون هذا المجلد، سيترككم مع أعظم هدية يمكن أن يقدمها أي كاتب: سيترككم وأنتم تشتهون المزيد.

ستيفين كينج

مقدمة خاصة بقلم ستيفن كينج

ريتشارد ماثيسون

كابوس على ارتفاع 20 ألف قدم

ترجمة: حسام أبو سريس

إعداد: سند راشد

ساحر الكتب

سبارك

spark-books.com

ريتشارد ماثيسون

كابوس على ارتفاع 20 ألف قدم

ترجمة

حسام أبو سريس

إعداد وأشراف

سند راشد

تدقيق نحوي و لغوي

أحمد عبد السلام أحمد

تصميم الغلاف والإخراج الفني

أحمد عاطف مجاهد

حكايات مدهشة سلسلة فريدة من الكتب تقدم لك ترجمات حصرية وأصلية لأروع وأشهر روايات الرعب، الإثارة والتشويق والخيال

تحديد مسئولية / إخلاء مسئولية من أي ضمان

هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية. لقد بذلنا قصارى جهدنا في ترجمة هذا الكتاب، ولكن بسبب القيود المتأصلة في طبيعة الترجمة، والناتجة عن تعقيدات اللغة، واحتمال وجود عدد من الترجمات والتفسيرات المختلفة لكلمات وعبارات معينة، فإننا نعلن وبكل وضوح أننا لا نتحمل أي مسئولية ونخلي مسئوليتنا بخاصة عن أي ضمانات ضمنية متعلقة بملاءمة الكتاب لأغراض شرائه العادية أو ملاءمته لفرض معين. كما أننا لن نتحمل أي مسئولية عن أي خسائر في الأرباح أو أي خسائر تجارية أخرى، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر، الخسائر العرضية، أو المترتبة، أو غيرها من الخسائر.

الطبعة الأولى 2023

حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع محفوظة لسبارك للنشر والتوزيع

لا يجوز إعادة إنتاج أو تخزين هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي نظام لتخزين المعلومات أو استرجاعها أو نقله بأية وسيلة إلكترونية أو آلية أو من خلال التصوير أو التسجيل أو بأية وسيلة أخرى.

Published by arrangement with Amélie Cherlin and Don Congdon Associates.

COPYRIGHT © 2002 BY RXR, INC.

مع كثرة الترجمات، وغزارة الكتب أصبح من الصعب اختيار ما يناسبك...

لهذا السبب ظهرت هذه السلسلة...

فمن خلالها سنختار لكم أهم الأعمال العالمية المخيفة والمثيرة - الحديثة والكلاسيكية - والتي قد تكون لم تحظ بترجمة عربية، أو حظيت بترجمة ظلمتها...

لنتعرف معا عليها ونخوض رحلة مخيفة لسبر أغوارها...

فانضموا إلينا في رحلة أدبية مثيرة...

تأخذنا من أعماق الرعب المظلم إلى متاهات الإثارة والتشويق...

سنزور قصور الرعب القوطي المهجورة...

ونجري مع الفهود في أدغال أفريقيا...

سنخوض مغامرات غريبة على سطح القمر...

قبل أن نغوص في علوم ما وراء الطبيعة الغامضة..

أنها رحلة مسلية ومثيرة ومخيفة سنخوضها معا...

لنستكشف معاً أروع القصص الأدبية...

وأكثرها إثارة وتشويقا!

منهجنا في هذه السلسلة الفريدة:

حرصنا في هذه السلسلة على تقديم ترجمات دقيقة قدر المستطاع لمجموعة مختارة من أشهر روايات وقصص الرعب والغموض والتشويق...

كما حرصنا على إضافة الهوامش التي تفسر المعاني أو المصطلحات قد تكون غامضة أو معقدة بالنسبة للقارئ بهدف تسهيل الفهم وزيادة الإشراق الثقافي...

وليكتمل تميز هذه السلسلة قمنا بتضمين مقدمة في كل كتاب تستعرض سيرة الكاتب وأبرز أعماله، ليس فقط كوسيلة للتعرف على العقل المبدع وراء النص، ولكن أيضاً لتقديم سياق ثقافي وأدبي يعزز من تجربة القراءة. نأمل أن تقدم لكم هذه السلسلة تجربة غنية ومُحفِزة تدعوكم إلى استكشاف عالم الأدب بعيون جديدة...

عن (ريتشارد ماثيسون)

وقصصه...

بلا شك، لا يمكن البدء بسلسلتنا الأدبية المتنقلة بين عوالم الرعب، الغموض، الإثارة والتشويق، إلا بمرافقة عبقري مثل (ريتشارد ماثيسون)...

الاسم الذي لا يكاد يُفارق الألسنة عند الحديث عن أدب الرعب والخيال العلمي، فهذا الرجل استطاع تقديم قصص استطاعت أن تلامس العقل والوجدان، وأن تترك بصمات لا تُمحى في عالم الأدب وحتى في صناعة السينما...!

ولمن لا يعرفه، فقد ولد (ماثيسون) عام 1926، في ولاية (نيو جيرسي) الأمريكية، انفصل والداه عندما كان في الثامنة من عمره ليتربى في أحضان والدته بين أزقة (بروكلين) في (نيويورك)، هنا نمت مواهبه الأدبية تحت تأثير عدد من المصادر المتنوعة، فقد أحب فيلم «دراكولا» كثيرا مما يبدوا قد ساهم بشكل أو بآخر بتشكل شخصيته...

كما قرأ بنهم الروايات الملهمة ل(كينيث روبرتس)، بالإضافة إلى قصيدة غرست فيه الإلهام وجدها مطبوعة في صفحات صحيفة (بروكلين إيجل).

عند الثامنة من عمره، نشر أولى قصصه القصيرة، مُعلنًا بذلك عن ولادة كاتب من أهم كتاب الرعب في القرن العشرين..

في عام 1939، التحق بمدرسة (بروكلين) الثانوية الفنية، وتميز حتى تخرج عام 1943.

توجه بعدها لخدمة وطنه في الجيش الأمريكي، مشاركًا في الحملات العسكرية بأوروبا خلال الحرب العالمية الثانية.

تلك الفترة شكلت لاحقاً عنصرًا أساسيًا في إبداعه الروائي، وأسفرت عن نشر روايته «المحاربون غير الملتحين» عام 1960.

بعد الحرب، استأنف مسيرته التعليمية، حيث التحق بكلية الصحافة بجامعة (ميسوري). ونال هناك درجة البكالوريوس في الصحافة عام 1949، قبل أن يغادر شرق الولايات المتحدة متجهًا نحو الغرب، ليستقر في (كاليفورنيا) ويتابع مشواره الأدبي والمهني...

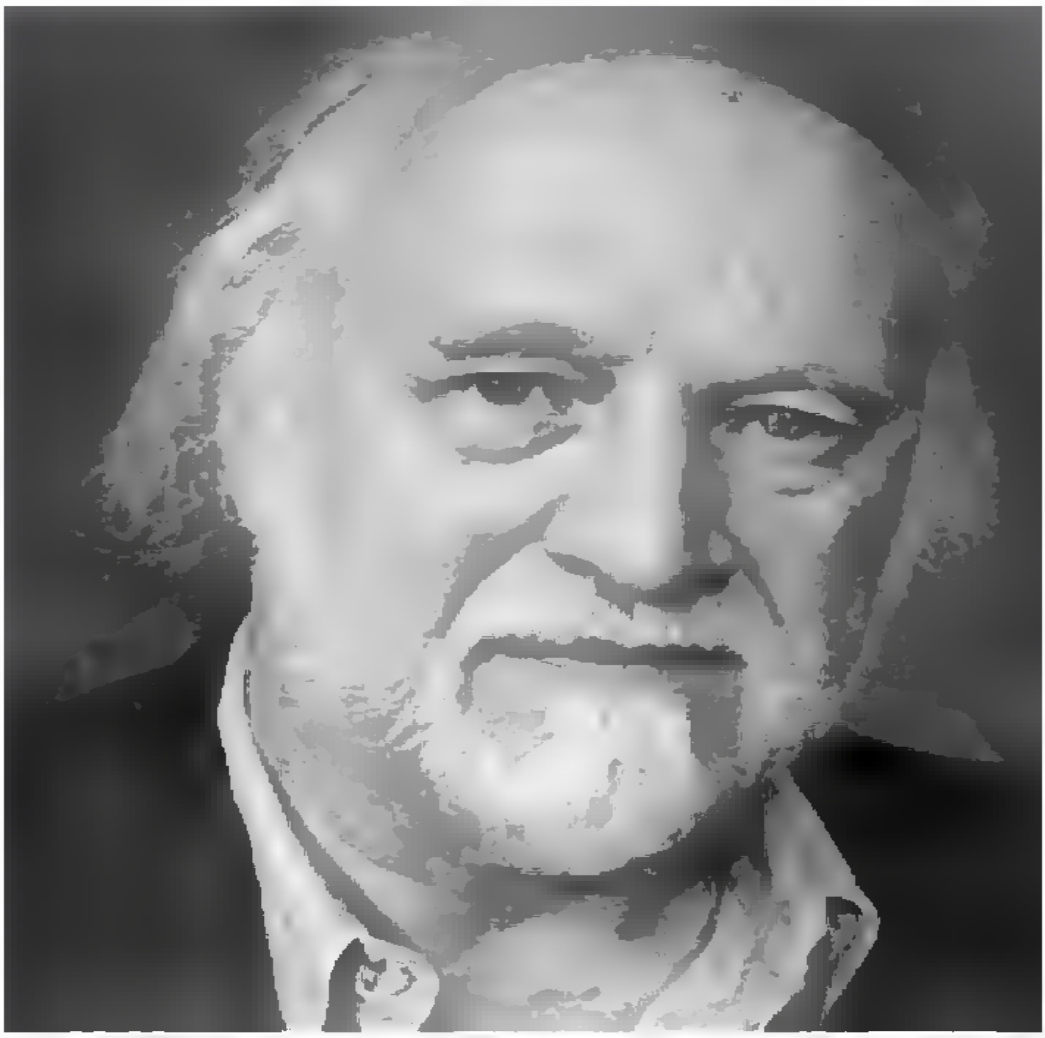

(ريتشارد ماثيسون)، واحد من أهم كتاب الرعب والخيال العلمي.

بدأ (ماثيسون) كتابة القصص القصيرة في الأربعينيات، وسرعان ما استطاع أن يكسب احترام النقاد والجمهور.

من أشهر أعماله رواية «I Am Legend» التي نُشرت عام 1954، وتدور أحداثها حول شخصية (روبرت نيفيل)، الذي يصبح آخر إنسان حي على وجه الأرض بعد انتشار وباء غامض قام بتحويل البشر إلى مخلوقات تشبه مصاصي الدماء!

الرواية حققت نجاحاً كبيراً، وتحولت إلى عدد كبير من

الأفلام السينمائية والتلفزيونية، ومن أشهر معالجتها الحديثة فيلم (ويل سميث) الذي يحمل الاسم نفسه...

الإصدار التلفزيوني الأول للقصة، الذي تم عرضه كجزء من حلقات مسلسل «Twilight Zone»، رأى النور في عام 1963.

نلتقي اليوم بواحدة من أشهر أعماله الأدبية المخيفة وهي قصة Nightmare at 20,000 Feet...

تحكي القصة قصة مسافر يخاف من الطيران تحدث له حادثة مخيفة وغريبة في الطائرة!

القصة تتناول موضوعات مثل الخوف والجنون، وكيف يمكن للإنسان أن يشك في نفسه عندما يُقابل بالشك

والرفض من الآخرين. هي تدور أيضاً حول موضوع العزلة، وكيف يمكن للشخص أن يشعر بالعزلة حتى عندما يكون محاطًا بالناس...

تعد القصة من أشهر أعمال (ماثيسون)، وقد تحولت إلى حلقة من المسلسل الأسطوري (Twilight Zone) كما تم تقديمها في نسخة الفيلم من المسلسل عام 1983، وفي عام 2019 تم تقديمها مجددا في معالجة جديدة من نسخة المسلسل المطورة...

وسنلتقي أيضا بقصة أخرى مذهلة تحمل عنوان (ابن الدم). تنقلنا هذه القصة إلى عالم مظلم وغامض يحيط بشاب يدعى Jules، الذي يحلم بأن يصبح مصاص دماء...!

القصة تقدم لنا نظرة عميقة إلى عالم الأوهام والرغبات المظلمة، وكيف يمكن لهذه الأحلام أن تأخذنا إلى طرق غير متوقعة. فإذا كنت من محبي الأدب الذي يجمع بين عناصر الرعب والنفسية، فإن 'ابن الدم' ستكون لك تجربة لا تنسى..

كما حرصنا على تقديم قصة (فستان من الحرير الأبيض) في الكتاب كونها مختلفة...

فهي تتعامل مع مفاهيم البراءة والشر، والطفولة والكبرياء البشري، وتتمحور حول فتاة صغيرة تنتظر عودة والدتها.

النجم Adam Scott قام بدور الشخصية الرئيسي في الاقتباس التلفزيوني الثاني عام 2019

القصة تركز على هذه الفتاة والعلاقة الخاصة التي تجمعها بفستان أبيض، الذي يصبح رمزًا محملًا بدلالات عن الطفولة والنقاء، ولكن في الوقت نفسه يحمل إشارات إلى الأمور المظلمة والمعقدة.

من خلال هذا التفاعل بين البراءة والكبرياء البشري، تطرح القصة أسئلة عميقة عن طبيعة الخير والشر في النفس البشرية...

في النهاية فإن (ريتشارد ماثيسون) يقدم لنا هنا قصص فريدة من أدب (الرعب) قادرة على حبس أنفاسنا في كل سطر لهذا السبب، فإن هذا الكتاب جدير بأن يقرأ...

سند راشد

مقدمة

بقلم ستيفن كينغ

إن مقولة أن (ريتشارد ماثيسون) هو من اخترع قصص الرعب سيكون سخيفًا بقدر مقولة أن (إلفيس بريسلي) هو من اخترع موسيقى (الروك أند رول) سيصرخ المتعصب للأصول والتقاليد قائلًا: «ماذا عن (تشاك بيري)، و(ليتل ريتشارد)، و(ستيك ماكغي)، و(ذا روبينز)، والعشرات الآخرين؟»

ينطبق الشيء نفسه على صنف الرعب، وهو المرادف الأدبي لموسيقى (الروك أند رول) مثل ضربة سريعة في الرأس تثير أعصابك، وتجعلها تؤلم بحق...!

قبل (ماثيسون) كان هناك العشرات، يعودون إلى مؤلف قصة (غريندل)، و(ماري شيلي)، و(هوراس والبول)، و(إدغار آلان بو)، و(برام ستوكر)، و(إتش. بي. لوفكرافت)، و...

ولكن مثل موسيقى (الروك أند رول)، أو أي صنف آخر يمر بسرعة على النهايات العصبية، يجب على الرعب أن يتجدد باستمرار، وأن يجدد نفسه وإلا فسوف يموت.

في أوائل خمسينيات القرن العشرين، عندما كانت «الحكايات الغريبة» تحتضر وتموت بطيئًا، وكان (روبرت بلوخ)، أعظم كاتب لقصص الرعب في ذلك الزمان، قد تحول إلى الروايات النفسية وفي ذلك الزمان نفسه كان (فريتز

ليبر)، الذي يمكن القول بسهولة إنه ند (بلوخ)، صامتًا بشكل غريب لفترة من الوقت، وكان هذا الصنف يضعف ولا رياح له، ليأتي (ريتشارد ماثيسون) مثل صاعقة برق قوية.

تمكن بمفرده من تجديد صنف راكد، رافضًا أعراف الكتابات الرخيصة، والتي كانت تحتضر أصلًا، ودامجًا المحفّزات والإثارة في عمله كما كان قد بدأ (ثيودور ستورجون) قبلها في أعماله في صنف الخيال العلمي، وقام بكتابة سلسلة من القصص القصيرة الحماسية، والتي كانت مثل ضربات من البرق الأبيض.

ما الذي أذكره عن تلك القصص؟

أذكر ما علمتني إياه؛ نفس الشيء الذي عبّر عنه أحدث مجدد لموسيقى الروك، (بروس سبرينغستين)، في إحدى أغانيه: لا تراجع يا عزيزي، ولا استسلام...

أذكر أن (ماثيسون) لم يقبل أن يستسلم أبدًا.

عندما كنت تعتقد أن الأمر لا بد أنه قد انتهى، وأن أعصابك لا يمكن أن تتحمّل أكثر من هذا، عندها كان (ماثيسون) يقوم بتشغيل الحارقات اللاحقة(1) وينطلق بسرعة فائقة.

لم يقبل أن يتوقف. كان عنيدًا ولا يلين. كانت نبرة (لوفكرافت) المتكلفة(2)، والابتذال الحماسي للروايات الرخيصة، والتلميحات الجنسية جميعها غائبة.

كنت ترى الكثير من الحوافز الأصيلة لدرجة أن إعادة

القراءة لعدة مرات هي فقط التي كانت تُظهر فطنة (ماثيسون) وذكاءه وتمكّنه.

عندما يتحدث الناس عن هذا الصنف، أعتقد أنهم سيذكرون اسمي أولًا، لكن من دون (ريتشارد ماثيسون)، ما كان ليكون لي وجود.

إنه أبي بقدر ما كانت (بيسي سميث) والدة (إلفيس بريسلي). كان يحضر عندما كانت هناك حاجة إليه، وهذه القصص تحمل كل جاذبيتها الأصلية التي تشد القارئ.

فلتحذروا: أنتم في يد كاتب لا يرحم ولا يهتم. سيجفف الدم في عروقكم... وعندما تنهون هذا المجلد، سيترككم مع أعظم هدية يمكن أن يقدمها أي كاتب: سيترككم وأنتم تشتهون المزيد.

كابوس على ارتفاع

20 ألف قدم

- الرجاء ربط الأحزمة...

قالتها المضيفة بسعادة وهي تمر بجانبه. ما أن قالتها حتى أضيئت إشارة ربط الأحزمة في الطائرة، وأسفلها كانت إشارة التحذير المصاحبة لها:

«ممنوع التدخين»

ملأ (ويلسون) رئتيه من دخان سيجارته، ثم نفثه بزفير قوي ومتقطع، ومن ثم أطفأ سيجارته بعصبية في مطفأة السجائر التي عادة ما تكون في ذراع المقعد في الطائرة، وكأنه كان يطعنها بالسيجارة...!

في الخارج، أصدر أحد المحركات صوتاً عالياً جداً، وكانت تنبعث منه سحابة من الدخان، الذي كان يتكسر مع هواء الليل.

بدأ جسم الطائرة الداخلي بالاهتزاز، أما (ويلسون) فقد لمح من خلف نافذة الطائرة لهباً أبيضاً يُنفث من غطاء المحرك.

اصدر المحرك الثاني هو الآخر صوتاً عالياً(3)، ثم بدأ يزمج، وأصبحت حركة مروحته غير مرئية من شدة سرعتها.

ربط (ويلسون) حزام الأمان بخضوع وتوتر...

تم الآن تشغيل كل المحركات ، وأصبح رأس (ويلسون) يهتز

بالتزامن مع اهتزازات جسم الطائرة.

جلس وجسمه مشدود، وهو يحدق في الكرسي الذي أمامه، بينما كانت الطائرة من طراز (دي سي 7) تسير في الساحة، وهي تضيء الليل بالانفجارات الصادرة من عادمها. توقفت الطائرة عند طرف المدرج...

نظر (ويلسون) من خلف النافذة إلى بريق إضاءة مبنى المطار الضخم.

في ساعة متأخرة من الصباح، ظن، بعد أن استحم وارتدى ملابسه الأنيقة، أنه سيكون جالساً في مكتب عميل آخر، يناقش صفقة مزيفة أخرى، والتي لن تضيف نتيجتها النهائية أي شيء لتاريخ البشرية...

كل ذلك مليء باليأس والبؤس حقاً...

شهق (ويلسون) عندما بدأت المحركات بالدوران بشكل أسرع، متأهبة لإقلاع الطائرة.

الصوت، الذي كان أصلا عالياً، أصبح يصدر موجات من صوت أعلى، بشكل يكاد يؤدي للصمم، كانت هذه الموجات تضرب أذني (ويلسون) وكأنها مضرب ثخين.

فتح فمه وكأنه يريد تنفيس الضغط...

بدت المعاناة واضحة من نظراته، التفت يداه إلى الداخل معل المخالب المتشنجة.

جفل وتراجعت ساقاه إلى الخلف، عندما أحس بلمسة على

ذراعه...

تحرك رأسه بسرعة إلى جانبه، ليرى المضيفة التي قابلته عند باب الطائرة. كانت تبتسم له.

- هل أنت بخير؟

بالكاد تمكن من فهم ما تقول...

أطبق (ويلسون) شفتيه، ورفع يده في وجهها، وكأنه كان يدفعها بعيدا...

زادت ملامح وجهها سعادة، ولكنها سرعان ما اختفت عندما التفتت بعيداً ثم ابتعدت.

بدأت الطائرة بالتحرك؛ في البداية، تحركت بشيء من الخمول، وكأنها حيوان عملاق يقاوم قوة سحب وزنه الكبير له.

ثم ازدادت سرعتها حتى تغلبت على قوى الاحتكاك التي كانت تقاوم انطلاقها.

عاد (ويلسون) النظر من خلال النافذة، ورأى المدرج المعتم، وهو يتحرك أسرع فأسرع...

على طرف الجناح، أصدر نزول الرفرف صوت أنين ميكانيكي.

بعدها، وبشكل تدريجي، لم تعد عجلات الطائرة تلامس الأرض، بل وأصبحت الأرض تبتعد شيئاً فشيئاً. في الأسفل،

لمعت بعض الأشجار والمباني، وأضواء السيارات التي كانت تتحرك بشكل سريع وزئبقي.

تحركت الطائرة ببطء إلى اليمين، وهي تسحب نفسها إلى الأعلى باتجاه بريق النجوم الأبيض.

وأخيراً، استقرت الطائرة عند ارتفاع معين، وبدت المحركات وكأنها توقفت، إلى أن التقطت أذنا (ويلسون)، بينما كانتا تتكيفان مع تغير الضغط الجوي، صوت المحركات عندما وصلت إلى سرعة الملاحة الجوية الثابتة. للحظة، شعر بالراحة، وارتخت عضلاته، مما أعطاه شعوراً بانه «بخير»...

إلا أن هذا الشعور سرعان ما زال.

جلس (ويلسون) دون حراك، وهو يحدق في إشارة «ممنوع التدخين» الى أن انطفأت، ليشعل على الفور سيجارة(4)

تناول جريدته من الجيب الخلفي للمقعد الذي أمامه...

كالعادة، كان العالم في حالة تشابه حالته، توترات في الأوساط الدبلوماسية، زلازل، إطلاق نار، جرائم قتل، اغتصاب، أعاصير واصطدامات، نزاعات في عالم الأعمال، عصابات...

ان الله في سمائه(5)، وكل شيء في هذا العالم بخير، هذا ما ظنه (آرثر جيفري ويلسون). بعد خمس عشرة دقيقة، رمى جريدته جانباً.

لم يشعر أن معدته بخير. نظر إلى الأعلى، ورأى الإشارات

التي كانت بجانب دورتي المياه. كلاهما مضاء وعليهما كلمة:

«مشغول»

أطفأ سيجارته، التي كانت الثالثة منذ الإقلاع، ثم أطفأ الضوء الذي يعلو مقعده، وبدأ يحدق عبر النافذة. على طول كابينة الطائرة، كان الركاب يطفئون الأضواء التي فوق رؤوسهم، ويهيئون مقاعدهم لوضعية النوم. نظر (ويلسون) إلى ساعته، وكانت 11:20. زفر أنفاسا مرهقة...

كما كان يتوقع، لم يكن للحبوب التي تناولها قبل ركوب الطائرة أي فائدة.

وقف فجأة عندما رأى سيدة تخرج من إحدى دورات مياه الطائرة، وخطف حقيبته، ثم مشى في الممر.

كما كان متوقعاً، جسده لم يُظهِر أي تعاون...

وقف ويلسون في دروة المياه، مُتنهدًا بإرهاق وقام بتعديل ملابسه، بعد أن غسل وجهه ويديه أخرج عدة الحمام من الحقيبة، ووضع بعضاً من معجون الأسنان على فرشاته...

بينما كان ينظف أسنانه - يستند بيد واحدة على أنبوب الدعم الخاص بدورة المياه - نظر من خلال النافذة. من على بعد بضع أقدام، رأى المروحة الداخلية للجناح الطائرة ذات اللون الأزرق الشاحب.

بدأ (ويلسون) يتخيل ما يمكن أن يحدث في حال انفلات هذه المروحة...!

وكيف أنها ستقطّعه مثل ساطور ثلاثي الشفرات. فجأة أحس بضغط في معدته، وبسببه ابتلع (ويلسون) من دون قصد بعضاً من اللعاب المخلوط بمعجون الأسنان.

بينما انقطعت أنفاسه، استدار نحو المغسلة وبصق فيها، وباستعجال، نظف فمه وتناول شيئاً من الشراب.

يا إلهي، لو أنه سافر بالقطار لكان أفضل...

كان سيحصل على مقصورته الخاصة، كان سيذهب وقت ما يريد إلى عربة النادي، كان يجلس في كرسي مريح مع مشروب ومجلة. إلا أن الوقت والحظ لم يسمحا بذلك.

على وشك وضع مجموعة الحمام مكانها في الحقيبة الصغيرة عندما ألقت عيناه نظرة على المظروف المصنوع من القماش المقاوم للماء داخل حقيبته...

تردد للحظة ثم وضع حقيبته الصغيرة على الحوض...

وأخرج المظروف وفتحه على فخذه. جلس يحدق في التناظر اللامع للمسدس(6) الذي تغطيه طبقة من الزيت كان يحمله معه منذ سنة.

في البداية، عندما كان يفكر في الأمر، كان يظن أن الأسباب التي تدفعه لحمل مسدس هي الأموال التي كان يحملها، الحاجة للحماية نفسه من عمليات السطو، الحاجة للحماية من عصابات المراهقين التي كانت في المدن التي كان يجب عليه أن يزورها.

إلا انه، وفي قرارة نفسه، كان يدرك أنه لم يكن هناك سوى سبب حقيقي واحد. السبب الذي كان يزداد تفكيره فيه أكثر فأكثر يوما بعد يوم...

كم سيكون هذا سهلاً هنا، والآن...!

أغلق (ويلسون) عينيه، وابتلع ريقه بسرعة، كان لا يزال طعم معجون الأسنان في فمه، كانت هناك لسعة خفيفة من نكهة النعناع على لسانه.

جلس بتعاقل في دورة المياه الباردة، بينما كان المسدس المزيت في يده.

فجأة بدأ يرتجف بدون تحكم.

«اللهم، دعني أذهب!»

صاح عقله فجأة...

«دعني أذهب، دعني أذهب»

بالكاد تمكن من سماع الطنين الذي في أذنيه.

ثم فجأة، جلس (ويلسون) منتصباً. أعاد تغليف مسدسه وهو مطبق شفتيه بشدة، ثم دفعه داخل حقيبته، ثم أغلق الحقيبة...

وقف وفتح الباب وغادر مسرعاً نحو مقعده، ثم جلس، بعد أن أعاد الحقيبة إلى مكانها بدقة.

ضغط بشكل متقطع على الزر الموجود على مسند الذراع،

وهو يدفع بنفسه إلى الخلف...

لقد كان رجل أعمال، وهناك بعض الأعمال التي يجب الاهتمام بها غداً...

كان الأمر بهذه البساطة...

كان جسده بحاجة إلى النوم...

بعد عشرين دقيقة، أعاد أصبعه ببطء ليضغط على نفس الزر، ويعيده إلى وضعه السابق، مما أعاد المقعد إلى وضعه السابق، ليجلس منتصباً كما الكرسي نفسه...

ارتسمت على وجهه ملامح تدل على القبول بالهزيمة. فكر في نفسه؛ لماذا أكافحه؟

كان من الواضح أنه سيبقى يقظاً...

إذا قضي الأمر...

كان قد أنهى حل نصف الكلمات المتقاطعة، قبل أن يسقط الجريدة على حجره...

أحس بتعب شديد في عينيه. بينما كان جالساً بانتصاب، أدار كتفيه ومدد عضلات ظهره. ثم فكر في نفسه؛ والآن ماذا؟

لم يكن يريد القراءة، ولم يستطع النوم. وما زالت هناك - تحقق من ساعته - سبع إلى ثماني ساعات قبل الوصول إلى (لوس أنجلوس) كيف كان سيقضيها؟

نظر على طول كابينة الطائرة، ورأى أن الجميع نائم، باستثناء راكب واحد في المقصورة الأمامية

فجأة شعر بغضب شديد، وشعر برغبة في الصراخ، أو في رمي شيء ما لكي يصيب أحدهم...!

كان يعض على أسنانه مثل كلب مسعور، لدرجة أنه أصبح يشعر بألم في فكيه...

دفع (ويلسون) الستائر جانباً بيده المتشنجة، وبدأ يحدق عبر النافذة بانزعاج شديد...

في الخارج، رأى أضواء الجناح وهي تومض، والومضات المتوهجة لعادم المحرك...

ها هو ذا، على ارتفاع عشرين ألف قدم من على سطح الأرض، عالقاً في قوقعة الموت صارخا، تسير خلال ليلة قطبية نحو...

ارتعش (ويلسون) عندما رأى البرق، وهو يلون السماء، طاغياً على الضوء القوي الصادر عبر الجناح، وكأنه نور نهار مزيف...

ابتلع ريقه...

هل ستهب عاصفة؟

لم يكن التفكير في الأمطار والرياح العاتية، وهي تهب على الطائرة، التي تبدو كنقطة في بحر السماء، أمرا لطيفاً.

لم يكن (ويلسون) يحب الطيران.

كانت الحركة الزائدة تصيبه بالمرض. ربما كان عليه أن يتناول المزيد من العقار المضاد للدوار والغثيان على سبيل الاحتياط. وطبعاً، كان مقعده بجانب مخرج الطوارئ. كان يفكر بالذي سيحصل في حال انفتح باب هذا المخرج خطأً؛ كيف أنه سيُسحب إلى خارج الطائرة، ليسقط وهو يصرخ!

رمش (ويلسون) ثم هز رأسه...

أحس بشيء من الوخز خلف عنقه، بينما كان يدفع رأسه على النافذة، وهو يحدق في الخارج. جلس في مكانه بلا حراك، أغلق عينيه جزئياً كمن يريد التركيز فيما يحدق إليه.

شعر لوهلة بأن عضلات معدته قد تحركت فجأة وبعنف وبأن عينيه تكاد تقفز إلى الأمام... كان هناك شيء ما يزحف على الجناح!

أحس (ويلسون) بالغثيان يهز معدته فجأة.

يا إلهي، هل زحف كلب أو قط على الطائرة قبل أن تقلع، وتمكن بطريقة ما من التشبث بها؟

كانت الفكرة نفسها مثيرة للغثيان...

سيكون الحيوان المسكين مضطرباً من الخوف.

ولكن كيف يمكنه أن يجد أماكن ليتشبث بها على هذا السطح الأملس الذي تندفع عليه الرياح بسرعة جنونية؟

هذا بالتأكيد مستحيل. ربما يكون في النهاية مجرد طائر أو ...

أضاء البرق مرة أخرى ، ليكتشف (ويلسون) أن ما كان يزحف هو في الواقع رجل!

لم يستطع التحرك. راقب بذهول الجسم الأسود، وهو يزحف على الجناح...

مستحيل...!

صدر صوت من مكان ما، ولكن (ويلسون) لم يسمعه من فرط الصدمة. لم يكن يعي سوى القفزة العملاقة التي قفزها قلبه، والتي كادت أن تمزق عضلاته، والرجل الذي في الخارج.

فجأة، شعر وكأن دلواً من الماء والثلج قد سكب عليه، كانت هناك ردة فعل؛ وبدأ عقله يبحث عن تفسير.

يبدو أن ميكانيكياً، نتيجة إهمال عجيب، قد علق بالطائرة، وتمكن من التشبث بها...!

مع أن الرياح قد مزقت ملابسه، ومع أن درجة حرارة الرياح كانت قريبة من درجة التجمد، وكمية الأكسجين في الهواء كانت قليلة جداً.

لم يعط (ويلسون) نفسه وقتاً لكي يضحد نظريته. قفز واقفاً على قدميه ثم صرخ:

- أيتها المضيفة! أيتها المضيفة!

صدح صوته الأجوف الرنان في أرجاء المقصورة، وهو يضغط على زر استدعاء المضيفة بقوة وبسرعة.

- أيتها المضيفة!

هرعت المضيفة مسرعة عبر الممر، كان وجهها مشدوداً من الذعر.

ثم تسمرت في مكانها عندما رأت النظرة التي على وجهه...

صرخ (ويلسون) قائلاً:

- هناك رجل في الخارج! إنه رجل!

- ماذا؟

انقبضت بشرتها في منطقة الخدين وحول العينين...

- انظري، انظري!

قالها وهو يعود للجلوس في مقعده، ويشير إلى خارج النافذ بيد مرتعشة...

- إنه يزحف على...

أوقفت كلماته حشرجة في حلقه كادت تتسبب باختناقه...

فقد اختفى الرجل... لم يكن هناك أي شيء على الجناح...!

جلس (ويلسون) وهو يرتعد في مكانه. لوهلة، وقبل أن يلتفت إليها، نظر إلى انعكاس صورة المضيفة على زجاج النافذة. كانت تعابير وجهها تدل على أنها لم تكن تفهم ما

يحصل.

وأخيراً، التفت إليها...

رأى شفاهها الحمراء تتحرك، وكأنها أرادت الكلام، ولكنها لم تقل شيئاً، كل ما فعلته هو أنها أعادت شفاهها إلى مكانها وابتلعت ريقها. ثم ارتسمت على وجهها ملامح من تحاول التبسم.

- أنا آسف، لا بد أنه كان...

لم يكمل (ويلسون)، مع أن الجملة كانت كاملة...

من الطرف الآخر من الممر، كانت هناك فتاة مراهقة تحدق به بعينين يملؤهما الفضول والنعاس.

تنحنحت المضيفة ثم قالت:

- هل ترغب في أن أحضر لك شيئاً؟

- كأساً من الماء...

استدارت المضيفة، وعادت سائرة عبر الممر. أخذ (ويلسون) شهيقاً عميقاً، وأزاح وجهه مبتعداً عن الفتاة التي كانت تتفحصه...

لقد أحس بنفس الشعور. هذا ما صدمة أكثر من أي شيء. أين كانت الرؤى، والصرخات، ضرب الأصداغ بالقبضات، واقتلاع الشعر؟(7)

أغلق عينيه فجأة...

فكر في نفسه؛ لقد «كان» هناك رجل...

أنه متأكد أنه كان هناك رجل...

ولهذا أحس بنفس الشعور....

ومع ذلك، هناك احتمال أنه لم يكن هناك رجل وكان يتخيل...

كان يدرك هذا بوضوح...

أغمض (ويلسون) عينيه وهو جالس، كان يتساءل؛ ماذا كانت ستفعل (جاكلين) لو كانت جالسة بجانبه؟ هل ستبقى صامتة، غير قادرة على الكلام من هول الصدمة؟

أم هل ستكون أكثر تقبلاً للأمر، ستغلبها الحماسة، ستبتسم له، ستثرثر، ستتظاهر بأنها لم تر شيئاً؟

ماذا سيكون رأي أبنائه؟

أحس (ويلسون) برغبة رابضة في صدره في البكاء، كانت على وشك الخروج في أي وقت...

آه يا إلهي....

- ها هو الماء الذي طلبته يا سيدي

مع رعشة حادة، فتح (ويلسون) عينيه...

سألته المضيفة:

- هل أحضر لك بطانية؟

- لا.

قالها، ثم هز برأسه، ثم أضاف:

- شكراً.

لم يكن يدري لماذا كان يتصرف بكل هذا الأدب. قالت له المضيفة:

- إن احتجت إلى أي شيء، فقط أقرع الجرس.

أومأ (ويلسون) برأسه...

بينما كان (ويلسون) جالساً، وهو يحمل كأس الماء بيده، دون أن يأخذ منه رشفة واحدة، سمع صوتاً خافتاً لحديث كان يدور بين المضيفة وأحد الركاب الجالسين خلفه.

أحس (ويلسون) بالاستياء...

فجأة، مد يده أسفل المقعد، بحذر كي لا يسكب الماء الذي في يده، وأخرج حقيبته المخصصة للمبيت...

قام بفتحها، ثم أخرج علبة الكبسولات المنومة، وابتلع اثنين مع الماء، سحق بيده الكوب الفارغ الذي كان يحوي الماء، ثم تخلص منه بأن وضعه في جيب المقعد الذي أمامه، ثم أغلق الستائر، دون أن ينظر إليها.

ها قد انتهى الأمر...

الهلوسة لمرة واحدة لا تعني الجنون...

التفت (ويلسون) إلى يمينه، وحاول أن يكون في وضعية

معاكسة لحركة الطائرة المتقطعة...

كان عليه أن ينسى ما حصل؛ هذا هو الأهم. يجب ألا يستمر في التفكير بالأمر.

بشكل غير متوقع، وجد ابتسامة ساخرة ترتسم على شفتيه.

حسناً، بالله، لا يمكن لأحد أن يتهمه بالهلوسة العادية على أي حال، لقد قام بعمل رائع بامتياز عندما فعلها. رجل عارٍ يزحف على جناح طائرة على ارتفاع عشرين ألف قدم، يا لها من كمية من الخرافات لا يأتي بها إلا أنبل المجانين!

زالت روح الدعابة سريعاً، أحس (ويلسون) بالبرد...

كان شعوراً قوياً ببرد شديد... وراحت الأفكار تدور برأسه من جديد..

كان الأمر واضحاً جداً، حياً للغاية. كيف يمكن للعيون أن ترى مثل هذا الشيء عندما لا تكون موجودة؟

لم يكن مترنحاً، ولم يكن في حالة ذهول، ولم تكن الرؤية مشوهة ولا مشوشة.

بل كانت واضحة وثلاثية الأبعاد، وكان متأكداً أن ما رآه كان حقيقياً مثل أنه كان يرى أي شيء آخر حوله. كان هذا أكثر ما أخافه...

لم يكن الأمر يشبه الحلم على الإطلاق..

كان قد نظر إلى الجناح و...

باندفاع، أزاح (ويلسون) الستارة...

لم يكن يعلم في لحظتها إن كان سينجو...

كان يشعر وكأن كل الأعضاء التي في صدره ومعدته كانت تنتفخ بطريقة فظيعة، أما ما دون ذلك، فكان يندفع نحو حلقه ورأسه، ليخنقه ويضغط على عينيه وكأنه يدفعها إلى الخارج...

بينما كان حبيساً في هذه الكتلة المنتفخة، كان قلبه ينبض بشكل مزعج، وكأنه على وشك الانفجار، بينما جلس (ويلسون) مشلولاً...

فعلى بعد مسافة قصيرة منه، كان هناك رجل يحدق به، لا يفصل بينهما سوى شمك الزجاج...!

كان وجهه خبيثاً، شديد البشاعة، لم يكن وجه آدمي...

جلده يبدوا قذراً وخشناً وواسع المسامات؛ أنفه قصيراً وعريضاً، وشفاهه مشوهة ومتشققة، وكان يفصل بينها أسنان ملتوية ومتنافرة كبيرة الحجم؛ كانت عيناه صغيرتين غائرتين، ولم تكن ترمشان.

كل هذا كان ضمن إطار من شعر أشعث ومتشابك، والذي كان بارزاً أيضا كخصلات من الفرو، من أذنيه وأنفه، مثل الطيور، وممتداً عبر خديه...

تجمد (ويلسون) في مقعده، لم يكن قادراً على القيام بأي

ردة فعلاً...

توقف الزمن وأصبح بلا معنى، وتوفق عقله عن التحليل!

تجمد كل شيء حوله من هول الصدمة. لم يستمر سوى نبض قبله فقط الذي كان كعور مهتاج يقفز...

بالكاد كان (ويلسون) قادراً على أن يرمش عينيه...

أصبح نظره ثقيلاً، ولم يقو على التنفس، إلا أنه قلد ذلك المخلوق، وأخذ يحدق به بشكل خالٍ من أي تعبير...

فجأة، أغلق عينيه وعقله، حرر نفسه من النظر...

أخذ يقول لنفسه «إنه ليس موجوداً»...

عض على أسنانه، اهتزت أنفاسه...

أنه ليس موجوداً أنه ببساطة ليس هناك!

تمسك بمساند الذراعين بأصابع شاحبة، جهز (ويلسون) نفسه وقال:

«لا يوجد هناك رجل في الخارج. من المستحيل أن يكون هناك رجل رابض في الخارج على جناح الطائرة ينظر له عبر النافذة»

ثم فتح عينيه، ليندفع إلى الخلف في مقعده، وقد كادت تنقطع أنفاسه...

لم يكن الرجل لا يزال مكانه فحسب، بل كان يبتسم أيضا...!

تكورت أصابع (ويلسون) وغرس أظافره في كف يده، حتى أحس بألم شديد...

أبقى أظافره مغروسة إلى أن تأكد تماماً أنه بكامل وعيه، ومن دون أي شك..

بعدها، مد (ويلسون) ذراعه المرتعشة ببطء نحو زر استدعاء المضيفة...

لم يكن يريد تكرار نفس الخطأ، لم يصرخ ولم يقفز واقفاً على قدميه، ولم يفزع ذلك المخلوق حتى لا يبتعد طائراً.

استمر في مد ذراعه إلى الأعلى، بينما كانت هناك رعشة من الإثارة والذعر في عضلاته، لأن ذلك المخلوق كان يراقبه، كانت عيناه الصغيرتان تتبعان حركة ذراع (ويلسون).

ضغط على الزر بحذر أول مرة، ثم أعاد الكرة مرة أخرى. فكر في نفسه؛ تعالى الآن. تعالي بعينيك المعترضتين ولترى ما أرى... ولكن أسرعي!

سمع ستارة تفتح في مؤخرة المقصورة، وفجأة، تصلب جسده...

لقد حرك الرجل وجهه البشع لينظر في ذلك الاتجاه...

حدق به (ويلسون) وهو غير قادر على الحراك... «أسرعي»، قال في نفسه. «بحق الله أسرعي!»

انقضى الأمر خلال ثانية، أعاد الرجل نظره إلى (ويلسون) وقد ارتسمت على شفاهه ابتسامة ماكرة. ثم رحل قافزاً...!

- نعم يا سيدي؟

للحظة، أحس (ويلسون) بمعاناة الجنون. تنقل بصره جيئة وذهاباً بين البقعة التي كان يرى من خلالها ذلك الرجل ووجه المضيفة، الذي ارتسمت عليه تعابير التساؤل.

كان يعود للنظر إلى المضيفة، ثم إلى الجناح، ثم إلى المضيفة، كانت أنفاسه محبوسة، وفي نظراته رعب مطلق. سألته المضيفة:

- ما الأمر؟

بسبب النظرة التي ارتسمت على وجهها؛ كبت (ويلسون) مشاعره، أدرك على الفور أنها ليس من الممكن أن تصدقه.

- أنا... أنا آسف

قالها متعثراً، ابتلع ريقه بجفاف شديد، مما أصدر صوتًا يشبه النقر في حنجرته...

- إنه لا شيء، أنا... أعتذر.

كان واضحاً أن المضيفة لم تعلم ما الذي يجب قوله. كانت ترتكز بإحدى يديها على المقعد الذي بجانب (ويلسون) وهي مائلة باتجاه معاكس لميلان الطائرة المزعج، بينما كانت يدها الأخرى تتحرك بشكل واضح على طول تنورتها. كانت شفتاها تتباعدان قليلاً وكأنها أرادت الكلام، ولكنها لم تجد ما تقوله.

- حسناً

قالتها أخيرا ثم تنحنحت، ثم أردفت قائلة:

- ان احتجت أي شيء...

- أجل، أجل، شكراً.. هل سندخل في عاصفة؟

ابتسمت المضيفة فوراً ثم أجابت:

- عاصفة صغيرة فقط، لا شيء يدعو للقلق.

أومأ (ويلسون) برأسه مع رعشات خفيفة. وبعد أن ذهبت المضيفة، أخذ شهيقاً مفاجئاً، وكأن خياشيمه كانت تشتعل...!

كان متأكداً أنها كانت تظنه مجنوناً، ولكنها لم تدري ماذا تفعل، لأنه لم يكن ضمن تدريبها أي تعليمات للتعامل مع الركاب الذين يظنون أنهم قد رأوا رجالاً صغاراً رابضين على أجنحة الطائرات... يظنون؟

التفت (ويلسون) باتجاه النافذة، ونظر إلى الخارج. حدق في جناح الطائرة، وهو يخترق الظلام، وفي اللهب المنبعث من العادم، والأضواء الوامضة...

لقد رأى الرجل... يمكنه أن يقسم أنه قد رآه...

كيف يمكنه أن يدرك كل ما حوله وأن يكون عاقلاً طوال الوقت، وفي ذات الوقت يتخيل شيئاً كهذا؟

هل من المنطق القول إنه ينبغي على العقل، أن يدرج ضمن تسلسل الأحداث، والذي لا يزال منطقياً، مشهداً غريباً مثل هذا، بدلاً من يشوه الواقع كله بطريقة ما؟

لا، هذا ليس منطقياً أبدا..

فجأة، بدأ (ويلسون) يفكر في الحرب، وفي القصص التي كانت تنشرها الصحف، والتي تتحدث عن الوجود المزعوم لمخلوقات في السماء، والتي ابتلي بها طيارو الحلفاء خلال أدائهم لمهماتهم.

تذكر أنه كان يطلق عليهم اسم ال(جريملين)(8)

هل كانت هذه المخلوقات موجودة فعلاً؟

هل كانت فعلاً موجودة في الأعلى؟

تركب الرياح دون أن تسقط، هل كان لها أجسام وأوزان طبيعية، ولكنها كانت لديها مناعة ضد الجاذبية؟

كان يفكر كيف أنه عندما ظهر ذلك الرجل مرة أخرى، كيف أن الجناح كان خالياً وخلال ثانية فقط هبط الرجل قافزاً عليه...

لم يكن هناك أثر لاصطدام...

لقد هبط بشكل هش تقريباً، كان قصير القامة، وكانت ذراعاه كضفيتي الشعر ممدودتين وكأنه يريد المشي باتزان.

توتر (ويلسون)...

نعم، كان يعرف ما الذي رآه...

كان ذلك الرجل - ولكن هل يجب ان يظن أنه رجل؟ - ... قد فهم بطريقة ما أنه قد تمكن من خداع (ويلسون) بأن جعله

ينادي المضيفة بدون سبب.

أحس (ويلسون) إنه يرتعد من الفزع...

كيف يمكنه أن يثبت وجود هذا الرجل للآخرين؟

نظر حوله بيأس...

تلك الفتاة التي في الجهة الأخرى من الممر...

لو تحدث إليها بلطف، وأيقظها، هل ستتمكن من...

لا، كان الرجل سيقفز ويختفي قبل أن تراه، ربما قفز إلى أعلى جسم الطائرة حيث لا يمكن لأحد أن يراه، ولا حتى الطيارين في قمرة القيادة...!

فجأة شعر ويلسون بإدانة شديدة لنفسه؛ لأنه لم يحضر تلك الكاميرا التي كان (والتر) قد طلب منه إحضارها... قال في نفسه:

«يا إلهي، لو أنني أستطيع التقاط صورة لهذا الرجل»

مال مقترباً من النافذة...

ما الذي كان يفعله الرجل؟

فجأة، اختفى الظلام مع البرق، وأبيض جناح الطائرة، وتمكن (ويلسون) من الرؤية.

مثل طفل فضولي، كان الرجل يجلس مقرفصاً عند الطرف المتحرك من الجناح، وكان يمد يده اليمنى باتجاه مروحة المحرك...!

بينما كان (ويلسون) يراقب، بخليط من الفزع والانبهار، أخذ الرجل يقترب أكثر فأكثر نحو دوران المراوح الغير مرئي (من شدة سرعته) إلى أن فجأة، ابتعد عنها وارتعشت شفتا الرجل بصرخة غير مسموعة...

فكر (ويلسون) في نفسه وقد أحس بالقرف: لقد خسر أحد أصابعه!

ولكن، وعلى الفور، مد الرجل يده مرة أخرى إلى الأمام، وكان أصبعه ممتداً، كان المنظر يشبه طفلاً متوحشاً يحاول الإمساك بإحدى شفرات المروحة وهي تدور.

لو لم يكن الأمر في غير محله وبكل هذه البشاعة، لكان يمكن ان يكون هذا مسلياً، مثل مشهد كوميدي، لذلك الرجل، في تلك اللحظة، مثل مخلوق خرافي من قصة خيالية أصبح فجأة حقيقياً، وكانت الرياح تعصف بشعر رأسه وجسمه، ولكن اهتمامه كان منصباً على دوران مروحة المحرك.

فجأة، فكر (ويلسون)، كيف يمكن أن يكون هذا جنوناً؟ ما الذي كان سيكتشفه في نفسه جراء هذا الرعب الهزلي الصغير؟

مرة تلو الأخرى، بينما كان (ويلسون) يراقب، مد الرجل يده إلى الأمام. ومرة تلو الأخرى كان يسحب أصابعه إلى الخلف، وأحياناً، كان يضعها في فمه لكي يبردها...!

وكالعادة، كان ينظر نحو (ويلسون) وكأنه كان يتأكد أنه كان

يراقبه...!

فكر (ويلسون) في نفسه؛ أنه يعلم...

أنه يعلم أنها لعبة بيني وبينه...

ان تمكنت من جعل أحد غيري يراه، فهو الخاسر في هذه اللعبة...

أما إن كنت أنا الشاهد الوحيد، فهو الرابح...

اختفى الآن الإحساس البسيط بالتسلية...

عض (ويلسون) على أسنانه. لمَ لا يستطع الطيارون رؤيته بحق الجحيم؟!

والآن، لم يعد الرجل مهتماً بمروحة المحرك، أصبح الآن يحاول الاتزان، وهو منفرج الساقين، على غطاء المحرك، وكأنه كان واقفاً على ظهر حصان وهو يمشي...

(ويلسون) كان يحدق به.

فجأة، أحس بقشعريرة تعبر ظهره...

بدأ ذلك الرجل بالعبث في الألواح التي تغطي المحرك، كان يحاول إدخال أظافره تحتها...

وباندفاع، مد (ويلسون) يده وضغط زر استدعاء المضيفة.

سمعها قادمة من الجهة الخلفية للمقصورة، وللحظة، أحس أنه قد تمكن من خداع الرجل الذي كان منشغلاً.

إلا انه، وفي اللحظة الأخيرة، وقبل وصول المضيفة، نظر الرجل إلى (ويلسون)، وبعدها، مثل دمية تم سحبها من الخيوط التي تحركها من على المسرح، طار الرجل مبتعداً في الهواء...!

- نعم؟

قالتها وهي تنظر إليه بشيء من العصبية والقلق.

- هلّا جلستي، رجاءً؟

ترددت وهي تجيب:

- حسناً، أنا...

- رجاءً.

جلست بخجل على المقعد الذي بجانبه. ثم سألته:

- ما الأمر يا سيد (ويلسون)؟

جهز نفسه للكلام، ثم قال:

- لا يزال ذلك الرجل في الخارج.

حدقت المضيفة به...

أسرع (ويلسون) بالكلام وقال:

- السبب الذي يجعلني أخبرك بهذا، هو أنه بدأ يعبث بأحد المحركات.

تلقائياً، حولت المضيفة نظرها نحو النافذة.

ليبادرها (ويلسون) قائلاً:

- لا، لا، لا تنظري، أنه غير موجود حالياً.

ثم تنحنح بلطف، قبل أن يكمل:

- أنه يقفز هارباً كلما حضرت إلى هنا.

اجتاحه شعور مفاجئ بالغثيان عندما أدرك ما الذي تفكر فيه المضيفة...

وعندما أدرك ما يمكن أن يفكر به هو نفسه، لو أن شخصاً ما قد قص عليه قصة مثل هذه عن شخص يجلس على جناح الطائرة...!

يبدو أن موجة من الدوار بدأت تعبره وهو يفكر في نفسه...

«هل بدأت أصاب بالجنون؟!»

ثم قال، وهو يعاند هذه الخواطر:

- لم أكن أتخيل كل هذا، فالطائرة في خطر...!

أجابت المضيفة:

- أجل

- أنا أعلم... أنت تظنين أنني قد فقدت عقلي.

- بالطبع لا..

قال لها وهو يكتم غضبه المتزايد:

- كل ما أطلبه هو أن تخبري الطيارين بما قلته لك. واطلبي

منهم أن يراقبوا الأجنحة. إن لم يروا شيئاً، فلا بأس. أما إن رأوا شيئاً ما...

جلست المضيفة في مكانها بهدوء، وهي تنظر إليه...

تكورت يدا (ويلسون) حتى أصبحتا قبضتين ترتعشان في حجره.

- إذا؟

وقفت المضيفة بسرعة ثم قالت:

- سأخبرهم.

بعد أن استدارت، مشت المضيفة عبر الممر بطريقة كانت تبدو لـ (ويلسون) على أنها مفتعلة بشكل سيئ... كانت تمشي بسرعة أعلى من العادة، ولكنها، كما كان واضحاً عليها، كانت تكبح نفسها، وكأنها كانت تريد ان تؤكد له أنها لم تكن تهرب.

أحس بحركة عنيفة في معدته عندما نظر إلى الجناح مرة أخرى...

فجأة، ظهر الرجل مرة أخرى، هبط على الجناح مثل راقصة باليه مشوهة...!

راقبه (ويلسون) بينما كان يتحضر للعمل مرة أخرى، حيث امتطى المحرك بساقيه العريضتين والعاريتين، وبدأ يعبث بألواح غطاء المحرك.

فكر (ويلسون)؛ حسناً، ما الذي كان يشغل باله؟

لن يتمكن هذا المخلوق البائس من اقتلاع المسامير باستخدام أظافره...!

في الواقع، لم يكن يهم أن رآه الطيارون أم لا، على الأقل، إن كان الأمر يتعلق بسلامة الطائرة. أما بخصوص أسبابه الخاصة...

في هذه اللحظة، تمكن ذلك الرجل من رفع طرف أحد الألواح...!

شهق (ويلسون)...

- هنا، بسرعة!

صرخ (ويلسون) هذه الكلمات ثم نظر للأعلى، ليجد المضيفة والطيار قادمين إليه من باب قمرة القيادة.

تحركت عينا الطيار بسرعة لينظر باتجاه (ويلسون)، ثم أسرع ليسبق المضيفة، ويجري في الممر بسرعة. صرخ (ويلسون):

- أسرع!

ثم نظر عبر النافذة في الوقت المناسب لكي يرى الرجل، وهو يقفز للأعلى.

لكن لم يكن هذا مهماً، لأنه الآن أصبح هناك دليل.

- ما الذي يحصل؟

سأله الطيار عندما توقف عند مقعده، وبدأ يلتقط أنفاسه.

- لقد خلع أحد الواح المحرك!

قالها (ويلسون) بصوت مرتجف...

- ما الذي فعله؟

- الرجل الذي في الخارج، أقول لك لقد...

- سيد (ويلسون) اخفض صوتك!

أمره الطيار بذلك، وارتخى فك (ويلسون). ثم أضاف الطيار:

- أنا لا أعلم ما الذي يجري هنا، ولكن...

- هلّا نظرت؟!

- سيد (ويلسون)، أنا أحذرك.

- حباً في الله!

ثم ابتلع (ويلسون) ريقه بسرعة، محاولاً كبت الغضب الشديد الذي أحس به.

وبحركة فجائية، دفع نفسه إلى الخلف، وأشار إلى النافذة بيد مرتجفة.

- هلّا نظرت، حباً في الله، انظر؟

أخذ الطيار نفساً بغضب، ثم انحنى.

وخلال لحظة، تحولت نظراته ببرود نحو (ويلسون) ثم سأله:

- حسناً؟

أدار (ويلسون) رأسه بسرعة. كانت الألواح في مكانها الطبيعي...!

- أوه... انتظر لحظة

قالها (ويلسون) قبل أن يتملكه الخوف...

ثم أضاف:

- لقد رأيته وهو ينزع اللوح.

- سيد (ويلسون) إن لم...

- لقد قلت إنني رأيته وهو ينزعه ويرفعه إلى الأعلى...

وقف الطيار في مكانه وهو ينظر إليه بنفس الطريقة التي تدل على الرغبة بالانسحاب، ونفس الذعر، وهي تقريباً نفس الطريقة التي كانت تنظر بها إليه المضيفة.

انتفض (ويلسون) بعنف ثم صرخ:

- اسمع، لقد رأيته!

أفزعه هذا التغيّر المفاجئ في نبرة صوته.

وخلال ثانية، كان الطيار جالساً بجانبه، ثم قال:

- سيد (ويلسون) رجاءً، حسناً، لقد رأيته. ولكن تذكر أن هناك أناساً على متن هذه الطائرة. ويجب أن لا نخيفهم.

لم يفهم (ويلسون) هذا في البداية من شدة الصدمة.

- هل تعني أنك قد رأيته إذا؟

- بالطبع، ولكننا لا نريد إخافة الركاب. يمكنك أن تفهم هذا.

- طبعاً، طبعاً، أنا لا أريد أن...

أحس (ويلسون) بألم يلتف على المنطقة الممتدة من أسفل معدته وحتى أعلى فخذه. وفجأة، أطبق شفتيه ونظر إلى الطيار بعيون حاقدة ثم قال:

- فهمت..

- ما يجب أن نتذكره هو...

- يمكننا التوقف الآن

- عفواً سيدي؟

انتفض (ويلسون) ثم قال:

- اذهب من هنا

- سيد (ويلسون) ماذا؟

- هلّا توقفت؟

أبيض وجه (ويلسون)، ثم أشاح بنظره عن الطيار، وأصبح يحدق في جناح الطائرة بعيون ثابتة مثل الحجارة. ثم عاد والتفت إلى الطيار فجأة، ثم قال غاضباً:

- تأكد تماماً إنني لن أنطق بأي كلمة أخرى!

- سيد (ويلسون)، حاول أن تفهم...

أشاح (ويلسون) بنظره، وحدق في المحرك بنظرات حاقدة.

من طرف عينه، تمكن من رؤية اثنين من الركاب وهما واقفان في الممر وينظران إليه.

انفجر عقله وهو يقول في نفسه «أغبياء!»

أحس بأن يديه قد بدأتا بالرعاش...

ولبضع ثوانٍ، أحس بالخوف من التقيؤ.

قال في نفسه، لا بد أنها حركة الطائرة التي أصبحت الآن تقاوم الهواء مثل قارب في عاصفة...

أدرك أن الطيار كان لا يزال يتحدث معه، وجّه عينيه نحو انعكاس صورة الطيار على زجاج النافذة.

كانت المضيفة تقف بجانبه صامتة وكئيبة.

قال (ويلسون) في نفسه...

«كلاهما غبيان كفيفان»

لم يُظهر أنه قد لاحظ مغادرتهما. من انعكاس صورتهما على النافذة، رأى أنهما قد توجها إلى الجزء الخلفي من المقصورة.

قال (ويلسون) في نفسه...

«لا بد أنهما الآن سيتناقشان في أمري. وسيضعان الخطط في حال لجأت إلى العنف.»

أصبح يتمنى الآن لو ان الرجل يعود للظهور، وأن ينزع لوح

الغطاء ويخرب المحرك. مجرد معرفته بأنه الوحيد الذي كان يقف بين الكارثة وبين ثلاثين راكباً على الطائرة، قد أعطاه شعوراً بمتعة «انتقامية».

يمكنه أن يسمح للكارثة بالحدوث لو أراد ذلك...

ابتسم (ويلسون) بلا مزاح، وقال في نفسه...

«سيكون هناك انتحار من الدرجة الملكية!»

هبط الرجل الصغير مرة أخرى، ورأى (ويلسون) ما كان يظنه صحيحاً؛ لقد ضغط الرجل على اللوح، وأعاده إلى مكانه الصحيح قبل أن يطير مبتعداً في المرة الماضية، حيث إنه الآن كان ينزعه مرة أخرى، ولكن هذه المرة كان الغطاء يخرج من مكانه بسهولة، كان يعيد تقشير اللوح، وكأنه جراح بشع يقوم بإعادة تقشير الجلد!

كان الجناح يتحرك بقوة، ولكن هذا الرجل كان لا يواجه صعوبة في الحفاظ على توازنه.

مرة أخرى، أحس (ويلسون) بالذعر...

ما الذي يمكنه أن يفعله؟ لم يصدقه أحد. ولو حاول أكثر أن يقنعهم لربما قاموا بتقييده بالقوة.

ولو طلب من المضيفة أن تجلس بجانبه، لكان ذلك، في أفضل الأحوال، مجرد «تأجيل لحظي للتنفيذ».

مجرد أن تغادر، أو ان تستسلم للنوم في حال بقيت ولم تغادر، سيعود الرجل للقيام بعمله!

وحتى لو بقيت مستيقظة بجانبه، ما الذي سيمنع الرجل من العبث بالمحركات على الجناح الآخر؟

انتفض (ويلسون)، أحس ببرودة الخوف، وهي تنخر عظامه.

يا إلهي، لم يكن هناك ما يمكن فعله.

ارتعش عندما رأى انعكاس صورة الطيار، وهو يمر بجانبه على النافذة التي كان يراقب عبرها الرجل الصغير. كادت تلك اللحظة أن تصيبه بالجنون؛ كان الطيار والرجل على بعد مسافة قصيرة من بعضهما البعض، كان يراهما معاً، ولكن لم يلحظ أحدهما الآخر.

لا، كان هذا خاطئاً. لقد نظر الرجل باتجاهه عندما مر الطيار، وكأنه كان يعلم انه لم يعد هناك أي داعٍ للقفز، وأن (ويلسون) لم تعد لديه القدرة على التدخل.

فجأة، ارتعش (ويلسون) وهو يشتعل غضباً...

قال في نفسه؛ سوف أقتلك!

أيها الحيوان الصغير القذر، سوف أقتلك!

في الخارج، تعطل المحرك...

استمر بالعمل لمدة ثانية واحدة فقط، وبعدها توقف، وكاد يتوقف معه قلب (ويلسون)؛ هذا ما كان يظنه. التصق بالنافذة وهو يحدق...

كان الرجل قد انتزع لوح غطاء المحرك، وقام بحنية مسافة كافية إلى الخلف، وكان الآن جاثياً على ركبتيه، ومُدخلاً يده بفضول إلى داخل المحرك.

- لا تفعل

سمع (ويلسون) أنين صوته وهو يتوسل...

- لا تفعل

مرة أخرى تعطل المحرك.

نظر (ويلسون) حوله برعب...

هل كان الجميع مصاباً بالصمم؟

رفع يده لكي يضغط على زر استدعاء المضيفة، ولكنه عدل عن ذلك بسرعة.

لا، قد يقومون بحبسه، أو تقييده بطريقة ما...

لقد كان هو الوحيد الذي يعلم بما يحصل، «الله» فقط يمكنه المساعدة...

عض (ويلسون) على شفته السفلية إلى أن دفعه الألم إلى الأنين.

التف مرة أخرى ثم ارتجف...

جاءت المضيفة مسرعة عبر الممر المهتز...

لقد سمعته!

راقبها بثبات ورأى نظرتها إليه عندما مرت بجانب مقعده...

توقفت في الممر على بعد ثلاثة مقاعد من مقعده...

شخص آخر سمعه!

راقب (ويلسون) المضيفة، وهي تنحني للأمام، وتتحدث للراكب الذي لم يستطع رؤيته.

في الخارج، أصدر المحرك مرة أخرى صوتاً عالياً...

التفت (ويلسون) بسرعة ونظر إلى الخارج بعيون اخترقها الرعب.

تذمر قائلاً:

- عليك اللعنة!

التفت مرة أخرى، ورأى المضيفة وهي عائدة عبر الممر. لم يبدُ عليها الفزع. حدق بها (ويلسون) وهو لا يصدق ما يرى.

لم يكن هذا ممكناً...

استمر في مراقبتها ورآها تدخل المطبخ...!

- لا.

كان (ويلسون) يرتعد بقوة لدرجة أنه لم يكن يستطيع التوقف. لم يسمع أحد. لم يعلم أحد ما يجري!

فجأة، انحنى (ويلسون) وأخرج حقيبة المبيت الخاصة به من أسفل المقعد...

فتحها، ثم أخرج منها حقيبته الصغيرة...

ثم أدخل يده فيها مرة أخرى، وأمسك بالمغلف المصنوع من القماش، وقام بتسويته.

من طرف عينه، رأى المضيفة وهي قادمة، ثم دفع الحقيبة أسفل المقعد بحذائه، ودس المغلف المصنوع من القماش بجانبه.

بينما مرت المضيفة بجانبه، جلس مشدود الجسم وأنفاسه ترتجف في صدره...

ثم سحب المظروف إلى حضنه وفك أربطته...

كانت حركاته متسارعة لدرجة أنه كاد يسقط المسدس، أمسك به من القاعدة، ثم تشبث بالماسك بأصابع مشدودة، وفتح قفل الأمان.

نظر مرة أخرى إلى الخارج، وأحس بنفسه يزداد برودة...

كان الرجل ينظر إليه...

اطبق (ويلسون) شفتيه المرتجفتين...

كان من المستحيل أن يعرف الرجل ما ينوي فعله...

ابتلع ريقه لكي يتمكن من التقاط أنفاسه.

ثم أزاح نظره إلى حيث كانت المضيفة تعطي أحد الركاب في الأمام بعض الحبوب، ثم عاد للنظر نحو الجناح. كان الرجل قد عاد مرة أخرى للعبث بالمحرك، كان قد مد يده إلى

داخل المحرك.

اشتدت قبضة (ويلسون) على المسدس، ثم بدأ يرفع المسدس...

ولكنه سرعان ما خفضه فجأة...

كان زجاج النافذة سميكاً جداً، لذا، فقد ترتد الرصاصة، وتقتل أحد الركاب...

انتفض ثم حدق بالرجل الصغير في الخارج...

ومرة أخرى تعطل المحرك، ورأى (ويلسون) شرارة تثور ليسطع ضوءها على ملامح الرجل الحيوانية...

حضّر نفسه...

لم يكن هناك سوى حل واحد...

نظر إلى الأسفل باتجاه مقبض باب الطوارئ(9) كان يعلوه غلاف شفاف.

سحبه بقوة وألقاه جانبًا...

نظر إلى الخارج...

كان الرجل لا يزال موجوداً، كان جاثماً، وكان يتفحص المحرك بيده.

أخذ (ويلسون) شهيقاً مرتعداً...

وضع يده اليسرى على مقبض الباب وتفحصه...

لم يستطع تحريكه للأسفل، ولكن كان هناك مجال لتحريكه للأعلى.

فجأة، افلته (ويلسون) وأسقط المسدس على حجره.

قال لنفسه؛ لا وقت للجدال...

بيدين مرتجفتين، ربط حزام الأمان على فخذيه...

عند فتح الباب، سيكون هناك اندفاع قوي للهواء...

من أجل سلامة الطائرة، كان عليه ان يمضي في تنفيذ الأمر.

والآن، التقط (ويلسون) المسدس مرة أخرى، كانت نبضات قلبه تزداد قوة...

كان عليه ان يكون سريعاً ودقيقاً...

إن لم يصبه، فقد يقفز الرجل إلى الجناح الآخر، بل وقد يحدث الأسوأ، قد يقفز إلى ذيل الطائرة، حيث يمكنه أن يقطّع الأسلاك، ويفقد الطائرة توازنها.

لا، كانت هذه الطريقة الوحيدة. سيطلق رصاصة إلى الأسفل، وسيحاول أصابته في صدره أو معدته. ملأ (ويلسون) رئتيه بالهواء...

«الآن...»

قال لنفسه...

«الآن»

كانت المضيفة قادمة عبر الممر عندما بدأ (ويلسون) يجذب المقبض. وللحظة، تسمرت في مكانها، ولم تستطع الكلام.

ارتسمت على وجهها ملامح رعب شديد، ورفعت إحدى يديها وكأنها كانت تتوسل إليه.

بعدها صرخت فجأة بصوت أعلى من ضجيج المحركات قائلةً:

- سيد (ويلسون)، لا!

- ابتعدي!

صرخ (ويلسون) وهو يجذب المقبض بسرعة إلى الأعلى.

انفتح الباب بسرعة، وكأنه اختفى...

لثانية من الزمن، كان الباب بقربه وفي قبضته، وفي الثانية التي بعدها، اختفى الباب بصوت هادر...

في تلك اللحظة، أحس (ويلسون) بقوة شفط متوحشة، تكاد تنتزعه من مقعده...

خرج رأسه وكتفاه من المقصورة، وفجأة، أصبح يتنفس هواءً خانقاً ومتجمداً...

للحظة من الزمن كادت طبلة أذنه أن تنفجر من صوت المحركات، وأعمت عينيه الرياح القطبية، لدرجة أنه نسي الرجل.

كأنه سمع صرخة سريعة في هذه الدوامة التي كانت تحيط

به، كانت صرخة قادمة من بعيد.

بعدها، رأى (ويلسون) الرجل...

كان يسير عبر الجناح، كان يميل إلى الأمام بجسمه، وكانت يداه ملتويتين مثل المخالب وممدودة بشيء من اللهفة...

رفع (ويلسون) يده بسرعة، ثم أطلق النار...

دوى صوت الانفجار وسط الاندفاع العنيف للهواء...

تعثر الرجل وانفعل، وأحس (ويلسون) بشيء من الألم في رأسه...

أطلق النار مرة أخرى، هذه المرة، من مسافة قريبة، ورأى الرجل وهو يتقهقر إلى الخلف، وفجأة، اختفى الرجل بعدها، وكأنه دمية ورقية خطفتها الرياح العاتية....

أحس (ويلسون) بخدر مفاجئ في رأسه، وأحس بالمسدس يفلت من أصابعه الضعيفة...

ثم ضاع كل شيء في ظلام الشتاء...

تمتم وتحرك. كان هناك شيء من الحرارة في عروقه، أحس بتخشب في أعضائه. كان يسمع خليطاً من الأصوات تحت جنح الظلام، مثل دوامة من الأصوات الخفيفة.

كان مستلقياً على ظهره، على شيء ما، كان هذا الشيء يتحرك ويهتز...

داعبت وجهه الرياح الباردة، وأحس بالسطح الذي أسفله

وهو يميل..

ثم تنهد...

كانت الطائرة قد هبطت، وكان يتم نقله على عربة.

كان رأسه على الأغلب مصاباً بجرح ما، بالإضافة إلى أنه قد تلقى حقنة لتهدئته.

سمع صوتاً يقول:

- لم أسمع بطريقة أكثر جنوناً للانتحار.

أحس (ويلسون) بشيء من المتعة والتسلية...

أيا كان الذي قالها، فهو مخطئ؛ وكما يتم إثباته قريباً، عندما يتم فحص المحرك، وفحص جرحه عن كثب...

سوف يدركون أنه قد أنقذهم جميعاً...

نام (ويلسون) من دون أحلام...

---

(1) في محركات الطائرات النفاثة الحربية، يقوم الحارق اللاحق بتعزيز الدفع وزيادة السرعة لما فوق سرعة الصوت أحيانًا.

(2) تعد لغة (لوفكرافت) مختلفة عن الأسلوب الحديث وقد لاحظ القراء ذلك عندما ترجمنا قصصًا له في سلسلة (حكايات غريبة).

(3) تذكر أن أحداث الرواية تدور في عام 1961

(4) في ستينات القرن الماضي كان يسمح بالتدخين في الطائرات

بالمقاعد المخصصة لذلك

(5) التعبير مأخوذ من الشعر الإنجليزي "God's in His heaven"، ويُستخدم عادة للدلالة على أن كل شيء في النظام، وعلى ما يُرام في العالم، حتى وإن كانت الظروف الفعلية تشير إلى العكس. هو تعبير يُستخدم للتأكيد على الأمور الجيدة في الحياة أو للإشارة إلى الرضا والقناعة، حتى في وجه الصعوبات أو الأزمات. الفكرة هي أن إذا كان الله في السماء، ويشرف على كل شيء، فإن الأمور ينبغي أن تكون في نظام.

(6) تذكر أن القصة نشرت لأول مرة في عام 1961، وكانت قواعد الأمان في المطارات آنذاك أقل صرامة مما هي عليه اليوم. لذلك، فإن فكرة اصطحاب مسدس على متن الطائرة قد تكون واقعية في سياق الزمان والمكان الذي نُشرت فيه القصة.

في النسخ المعاصرة التي تم تقديمها لهذه القصة، فقد تم تحديث السياق ليناسب تغيرات قواعد الأمان في المطارات، لكن في النص الأصلي، لا يُعتبر اصطحاب المسدس معه شيئًا غير عادي بالنسبة للبطل...

(7) يقصد المؤلف هنا أن البطل، رغم حالته النفسية استغرب أنه يشعر بنفس المشاعر، رغم الظروف التي مر بها! وهذا ما أذهله أكثر من كل شيء؛ لأنه كان يتوقع رد فعل عاطفي أو جسدي أقوى مثل الرؤى أو الصراخ أو اللكمات على الصدغين أو نتف الشعر، لكن لا شيء من هذا حدث، وهو ما جعله يشعر بالدهشة والقلق

(8) (الغريملينز) كائنات خيالية كان يُعتقد أنها تتسبب بأعطال وسقوط الطائرات الحربية أيام الحرب العالمية الثانية..!

(9) كما أوضح في بداية القصة ف(ويلسون) يحب الجلوس بجانب باب الطائرة اعتقادا منه أنها اكثر أمانا..

ابن الدم

قرر الناس في الحي بشكل قطعي أنّ (جول) كان مجنونًا عندما سمعوا عن موضوع الإنشاء الذي كتبه...

كانت هناك شكوك لفترة طويلة...

كان (جول) يجعل الناس يرتعدون خوفًا بطريقة تحديقه في الفراغ...

بدا لسانه البذيء وصوته الأجش غير طبيعيين في جسده الهزيل...

أثار شحوب بشرته استياء الكثير من الأطفال...

كان جلده يبدو فضفاضًا على جسده. كان يكره ضوء الشمس...!

وكانت أفكاره غير لائقة بعض الشيء بالنسبة لمن يعيشون في الحي.

أراد (جول) أن يصبح مصاص دماء...!

قال الناس إنه من المعروف أنه ولد في ليلة اقتلعت فيها الرياح الأشجار...!

وقالوا إنه وُلد وفي فمه ثلاثة أسنان...!

قالوا إنه استخدمها لتثبيت نفسه على ثدي والدته لسحب الدم مع الحليب...!

قالوا إنه اعتاد أن يُنَقنِق(1) وينبح في مهده بعد حلول الظلام...!

قالوا إنه بدأ في السير بعمر الشهرين وكان يجلس ويحدق في القمر كلما أشرق.

كانت تلك الأشياء التي قالها الناس.

كان والديه دائمًا قلقين عليه. طفل وحيد، لاحظا عيوبه بسرعة.

ظنًا أنه كان أعمى إلى أن أخبرهم الطبيب أنه مجرد تحديق في الفراغ...

أخبرهم أن (جول)، برأسه الكبير، قد يكون إما عبقريًا أو أحمقًا.

اتضح أنه كان أحمقًا...!

لم ينطق بأي كلمة إلى أن بلغ الخامسة من عمره. بعدها، في إحدى الليالي عند قدومه لتناول طعام العشاء، جلس على الطاولة وقال:

- الموت.

كان والداه محتارين بين الشعور بالبهجة والاشمئزاز. استقرّا أخيرًا على شيء بين الاثنين.

قررا أنّ (جول) لا يمكن أن يدرك ما تعنيه الكلمة...!

لكن (جول) كان يدرك...

منذ تلك الليلة، قام بتكوين مفردات كبيرة من النوع الذي جعل كل من يعرفه يندهش.

لم يتعلم فحسب كل كلمة قيلت له، والكلمات التي على اللافتات وفي المجلات والكتب؛ بل واختلق كلماته الخاصة.

مثل: لمسليل [لمس + ليل]. أو حبموت [حب + موت].

كانت في الواقع عدة كلمات اختلطت ببعضها البعض.

كانت تقول أشياء كان (جول) يشعر بها ولكنه لم يكن يستطيع شرحها بكلمات أخرى.

كان يجلس على الشرفة بينما كان الأطفال الآخرون يلعبون الحجلة وكرة العصا وألعابًا أخرى.

كان يجلس هناك ويحدق في الرصيف ويختلق الكلمات.

حتى بلوغه الثانية عشرة من عمره، بقي (جول) بعيدًا عن المشاكل.

بالطبع وجدوه ذات مرّة وهو يقوم بتعرية (أوليف جونز) في أحد الأزقّة.

ومرة أخرى وجدوه وهو يقوم بتشريح هرة صغيرة على سريره.

ولكن كانت هناك سنوات عديدة بين الحادثتين...

تم نسيان هاتين الفضيحتين...

بشكل عام أمضى طفولته في إثارة اشمئزاز الناس

فحسب...

ارتاد المدرسة لكنه لم يكن يدرس أبدًا...

كان يمضي حوالي الفصلين أو الثلاثة في كل صف.

جميع المعلمين كانوا يعرفونه باسمه الأول. في بعض المواد، مثل القراءة والكتابة كان تقريبًا نابغًا.

في مواد أخرى كان ميؤوسًا منه.

في أحد أيام السبت عندما كان في الثانية عشرة من عمره، ذهب (جول) إلى السينما. شاهد فيلم (دراكولا).

عندما انتهى العرض، مشى، مثل كتلة مؤلمة وغير طبيعية من الأعصاب، بين صفوف الفتيات والأولاد الصغار.

عاد إلى المنزل وحبس نفسه في الحمام لمدة ساعتين.

طرق والداه الباب بعنف وهددوه ولكنه لم يخرج.

في النهاية، فتح الباب وجلس على مائدة العشاء. كانت لديه ضمادة على إبهامه ونظرة رضا على وجهه.

في صباح اليوم التالي ذهب إلى المكتبة. كان يوم الأحد.

جلس على السلالم طوال اليوم وهو ينتظر أن تفتح. وفي النهاية عاد إلى المنزل.

في صباح اليوم التالي عاد إليها بدلًا من الذهاب إلى المدرسة.

وجد رواية (دراكولا) على رفوفها. لم يستطع استعارة الرواية، لأنه لم يكن مشتركًا ولكي يشترك سيكون عليه إحضار أحد والديه.

لذا قام بدس الكتاب في سرواله وغادر المكتبة ولم يُعده.

ذهب إلى الحديقة وجلس وقرأ الكتاب من أوله إلى آخره. كان الوقت متأخرًا في المساء قبل انتهائه من القراءة.

بدأ من البداية مرة أخرى، كان يقرأ وهو يركض من ضوء شارع إلى آخر، طوال الطريق إلى المنزل.

لم يسمع كلمة من كلمات التوبيخ التي تلقّاها لأنه لم يحضر وقت الغداء ولا وقت العشاء.

تناول طعامه، ثم ذهب إلى غرفته وقرأ الكتاب حتى النهاية...

سألاه من أين حصل على الكتاب. قال إنه قد وجده.

مع مرور الأيام، قرأ (جول) القصة مرارًا وتكرارًا. ولم يذهب إلى المدرسة أبدًا.

في وقت متأخر من الليل، عندما غرق في نوم تسبب فيه الإرهاق، اعتادت والدته أن تأخذ الكتاب إلى غرفة المعيشة وتريه لزوجها.

في إحدى الليالي لاحظا أن (جول) قد وضع خطوطًا مهزوزة داكنة تحت جمل معينة باستخدام قلم رصاص.

جمل مثل:

«كانت الشفاه قرمزية بالدم الطازج وكان سيل الدم يتقاطر على ذقنها ويلطخ نقاء رداء الدفن الذي ترتديه».

أو:

«عندما بدأ الدم ينبجس، أمسك يديّ بإحدى يديه، وأمسك بهما بقوّة، وباليد الأخرى أمسك برقبتي وضغط بفمي على الجرح».

عندما رأت والدته هذا، ألقت الكتاب في مكب القمامة.

في صباح اليوم التالي عندما وجد (جول) أن الكتاب لم يعد موجودًا، صرخ وقام بلي ذراع والدته إلى أن أخبرته بمكان الكتاب.

بعدها أسرع إلى القبو وبحث في أكوام القمامة إلى أن وجد الكتاب.

كان مسحوق القهوة وصفار البيض على يديه ومعصميه عندما ذهب إلى الحديقة وقرأ الكتاب مرة أخرى.

طوال شهر كامل أخذ يقرأ الكتاب بشغف...

بعدها أصبح يعرفه جيدًا بحيث أنه تخلص منه وأصبح يفكر فيه فقط.

كانت إخطارات الغيابات تأتي من المدرسة...

صرخت والدته عليه. قرر (جول) العودة إلى المدرسة لفترة

من الوقت.

أراد أن يكتب موضوع إنشاء.

وفي إحدى الأيام كتبه في الصف. عندما انتهى الجميع من الكتابة، سألت المعلمة إن كان أي أحد يريد قراءة موضوع الإنشاء على زملائه في الصف.

رفع (جول) يده...

تفاجأت المعلمة...

لكنها شعرت بضرورة الإحسان. أرادت تشجيعه. فرفعت رأسها وابتسمت وقالت:

- حسنًا، انتبهوا يا أطفال، (جول) سيقرأ علينا موضوع الإنشاء الذي كتبه.

وقف (جول)، كان متحمسًا، كانت الورقة تهتز في يديه.

- طموحي، بقلم . . .

- تعالَ إلى مقدمة الفصل يا عزيزي (جول).

ذهب (جول) إلى مقدمة الفصل. ابتسمت المعلمة بحب. بدأ (جول) القراءة مرة أخرى:

- طموحي، بقلم (جول دراكولا).

ارتخت الابتسامة...

- عندما أكبر أريد أن أصبح مصاصًا للدماء.

تحركت شفاه المعلمة المبتسمة بسرعة إلى الأسفل وبرزت إلى الأمام. واتسعت عيناها.

- أريد أن أعيش إلى الأبد، وأن أنتقم من الجميع وأن أحوّل جميع الفتيات إلى مصاصات دماء. أريد أن تكون رائحتي مثل رائحة الموت.

- (جولز)!

- أريد أن تكون رائحة أنفاسي كريهة عابقةً بنتن أرض المقابر وسراديب الموتى والتوابيت الرائعة.

ارتعدت المعلمة...

ارتجفت يداها على دفترها الأخضر...

لم تصدق ما سمعته...

نظرت إلى الأطفال...

كانوا فاغرين أفواههم. كان بعضهم يضحك بصوت خافت. لكن ليست الفتيات.

- أريد أن أكون باردًا وأن يكون لحمي فاسدًا والدم المسروق يجري في عروقي.

- هذه يك . . . هرومف!

تنحنحت المعلمة بقوة وقالت:

- هذا يكفي يا (جول).

أصبح (جول) يتحدث بصوت أعلى وبيأس:

- أريد أن أغرس أسناني البيضاء الرهيبة في أعناق ضحاياي. أريدهم أن...

- (جولز)! اذهب إلى مقعدك فورًا!

قرأ (جول) بشراسة:

- أريدها أن تنزلق مثل شفرات الحلاقة في الجسد وإلى الأوردة.

قفزت المعلمة واقفة...

كان الأطفال يرتعدون.

لم يكن أي منهم يضحك الآن...!

- بعدها، أريد أن أخرج أسناني لأدع الدم يتدفق بسلاسة في فمي ويجري وهو ساخن في حلقي و...

أمسكت المعلمة بذراعه...

حرر (جول) نفسه منها وأسرع إلى الزاوية. تحصن وراء مقعد وصرخ:

- وأن يتقاطر من لساني ويسيل من على شفتي ليسقط في حناجر ضحاياي! أريد أن أشرب دم الفتيات!

اندفعت المعلمة نحوه. وجرّته من الزاوية. حاول خدشها وصرخ على طول الطريق إلى الباب وإلى مكتب المدير:

- هذا هو طموحي! هذا هو طموحي! هذا هو طموحي!

كان هذا مروعًا...

كان (جول) محبوسًا في غرفته. جلس المعلمة والمدير مع والديّ (جول)، كانوا يتحدثون بأصوات كئيبة. كانوا يروون المشهد. في جميع أرجاء الحي، كان الأهالي يناقشون هذا الأمر. معظمهم لم يصدقوا ذلك في البداية. ظنوا أن أطفالهم قد اختلقوا الأمر.

بعدها فكروا كم هم مروّعون الأطفال الذين قاموا بتربيتهم في حال تمكن هؤلاء الأطفال من اختلاق مثل هذه الأشياء.

لذلك صدقوا الأمر.

بعدها أصبح الجميع يراقبون (جول) وكأنه صقر...!

أصبح الناس يتجنبون لمسه ونظرته. كان الآباء يجرّون أطفالهم من الشارع عندما كان يقترب. همس الجميع بحكايات عنه.

وصلت المزيد من إخطارات الغياب.

قال (جول) لوالدته إنه لن يذهب إلى المدرسة بعد الآن.

لم يغيّر شيء رأيه...

ولم يذهب إلى المدرسة بعدها أبدًا.

عندما كان يأتي ضابط الغيابات عن المدرسة إلى الشقة كان (جول) يركض على الأسطح إلى أن يصبح بعيدًا. ضاعت

سنة.

تجول (جول) في الشوارع بحثًا عن شيء ما؛ لم يكن يعرف ما هو. بحث في الأزقة. بحث في صناديق القمامة. بحث في قطع الأراضي. بحث في الجانب الشرقي والجانب الغربي وفي الوسط.

لم يتمكن من العثور على ما أراده.

كان نادرًا ما ينام. لم يتحدث قط. كان يحدق في الأسفل طوال الوقت. لقد نسي كلماته الخاصة.

بعدها.

ذات يوم في الحديقة، كان (جول) يتجول في حديقة الحيوان. ضعق مثل من أصابته صدمة كهربائية عندما رأى خفاشًا مصاصًا للدماء.

اتسعت فتحة عينيه ولمعت أسنانه، التي تغير لونها، بابتسامة عريضة لمعانًا باهتًا.

منذ ذلك اليوم، كان (جول) يذهب يوميًا إلى حديقة الحيوان وينظر إلى الخفاش. كان يتحدث إليه، وأطلق عليه اسم «الكونت».

شعر في صميم قلبه أن هذا الخفّاش كان في الواقع رجلًا قد تحوّل إلى خفّاش.

لقد أصابته ولادة جديدة للثقافة.

قام بسرقة كتاب آخر من المكتبة...

وكان هذا الكتاب يروي كل شيء عن الحياة البرية.

وجد صفحة عن الخفافيش التي تمص الدماء...

انتزعها من الكتاب ثم تخلص منه.

لقد حفظ الفصيلة عن ظهر قلب.

كان يعرف كيف تفتح الخفافيش الجرح الذي تتغذى منه...

كيف تشرب الدم مثلما تشرب هرة صغيرة الكريمة...

كيف كانت تسير على قصبات جناحيها المطويين وساقيها الخلفيتين مثل عنكبوت أسود مكسو بالفرو. ولماذا لا تتغذّى إلا بالدم.

شهرًا بعد شهر، كان (جول) يحدق في الخفاش ويتكلّم معه. أصبح العزاء الوحيد في حياته. الرمز الوحيد الذي يدل على أن الأحلام يمكن أن تتحقق.

في أحد الأيام لاحظ (جول) أن الجزء السفلي من الأسلاك التي تغطي القفص قد أصبحت مرتخية.

نظر حوله، وكانت عيناه السوداوان تتحركان. ولم يجد أي أحد ينظر نحوه، كانت السماء ملبدة بالغيوم في ذلك اليوم. لم يكن هناك الكثير من الناس. شد (جول) السلك.

تحرك قليلًا.

بعدها رأى رجلًا يخرج من قفص القرد...

لذا قام بإبعاد يده بسرعة وتمشى بعيدًا وهو يصفّر أغنية كان قد اختلقها للتو.

في وقت متأخر من الليل، في الوقت الذي كان من المفترض أن يكون فيه نائمًا، كان يمشي حافي القدمين وهو يمر من أمام غرفة والديه.

كان يسمع والده وأمه وهما يشخران...

أسرع، ولبس حذاءه وركض إلى حديقة الحيوان.

في كل مرة لم يكن الحارس موجودًا فيها، كان (جول) يشد الأسلاك.

استمر في شدّها ليفكّها.

عندما كان ينتهي من ذلك، يضطر إلى الركض عائدًا إلى المنزل، كان يدفع السلك ليعيده إلى مكانه مرة أخرى. حتى لا يتمكن أحد من معرفة ما فعل.

طوال اليوم كان (جول) يقف أمام القفص وينظر إلى «الكونت» ويضحك ويخبره أنه سيصبح قريبًا حرًا مرة أخرى.

أخبر «الكونت» بكل الأشياء التي كان يعرفها. أخبر «الكونت» أنه سيتدرب على تسلق الجدران نزولًا بالمقلوب ورأسه إلى أسفل.

وقال للكونت بأن لا يقلق. وأنه سيخرج قريبًا. وبعدها،

سيصبح بإمكانهما الذهاب معًا إلى كل مكان وشرب دم الفتيات.

في إحدى الليالي تمكن (جول) من سحب الأسلاك من مكانها وزحف تحتها إلى داخل القفص.

كان الظلام حالكًا.

زحف على ركبتيه إلى المنزل الخشبي الصغير. وأنصت ليرى ما إذا كان بإمكانه سماع صوت صرير الكونت.

وضع ذراعه في المدخل الأسود. ظل يهمس.

جفل عندما شعر بوخزة إبرة في إصبعه.

مع نظرة تدل على سرور كبير ارتسمت على وجهه، جذب (جول) الخفاش المرفرف المكسو بالشعر إليه.

ونزل معه من القفص وغادر حديقة الحيوان؛ ومن ثم غادر الحديقة...

ركض عبر الشوارع الهادئة.

كان الوقت متأخرًا في الصباح. لمس الضوء السماء المظلمة باللون الرمادي. لم يستطع العودة إلى المنزل. كان عليه أن يجد له مكانًا.

سار عبر زقاق وتسلق فوق سياج. كان يمسك بالخفاش بقوة.

كان يشرب من الدم الذي كان يسيل من إصبعه.

عَبَر ساحة هناك ومن ثم وصل إلى كوخ صغير مهجور.

كان داخل الكوخ مظلمًا ورطبًا. وكان مليئًا بالأنقاض وعلب الصفيح والكرتون المبلل والفضلات.

تأكد (جول) من عدم وجود طريقة يمكن أن يهرب بها الخفاش. بعدها سحب الباب بقوة ووضع عصا في الحلقة المعدنية.

شعر بقلبه وهو ينبض بقوة وبأطرافه وهي ترتجف. أفلت الخفاش. طار الخفاش إلى زاوية مظلمة وتعلق بالخشب. نزع (جول) قميصه بشكل محموم. كانت شفتاه ترتعشان. ابتسم ابتسامة مجنونة.

أدخل يده في جيب سرواله وأخرج سكين القلم(2) كان قد سرقها من والدته.

فتحها وحرّك إصبعه على نصلها. مزّق نصلها لحم إصبعه.

وبأصابع مرتعشة وخز حلقه. اخترقه. سال الدم من خلال أصابعه.

صرخ بفرح جنوني:

- أيها الكونت! أيها الكونت! اشرب دمي الأحمر! اشرب مني! اشرب مني!

تعثر بعلب الصفيح وتزحلق وتحسس بحثًا عن الخفاش. قفز من على الخشب وطار عبر الكوخ وثبّت نفسه على الجانب الآخر.

سالت الدموع على خديّ (جول).

شد أسنانه وفركها ببعضها. سال الدم عبر كتفيه وعبر صدره النحيل الخالي من الشعر.

كان جسده يرتعش بسبب الحمى. ترنح مرة أخرى وهو يمشي نحو الجانب الآخر. تعثر وشعر أن جنبه قد جرح بالحافة الحادة لعلبة من الصفيح.

رفع يديه...

وأمسك الخفاش...

ووضعه على حلقه...

هبط مستلقيًا على ظهره على الأرض الرطبة والباردة...

تنهد...

بدأ يئن ويمسك صدره...

ارتفعت معدته...

شرب الخفاش الأسود الدم من رقبته بصمت...

شعر (جول) أن حياته تتسرب من جسده...

فكر في كل السنوات الماضية...

في الانتظار...

في والديه...

في المدرسة...

في دراكولا...

في الأحلام...

من أجل هذا...

هذا المجد المفاجئ...!

رمشت عينا (جول) وهو يفتحهما.

كان داخل الكوخ النتن يسبح حوله.

كان من الصعب عليه التنفس. فتح فمه ليشهق الهواء. ابتلعه. كان كريهًا. مما جعله يسعل. كان جسده النحيل يترنح على الأرض الباردة.

زحفت الغشاوات من على عقله.

الواحدة تلو الأخرى مثل ستائر يتم سحبها.

فجأة غلب على عقله وضوح رهيب.

شعر بألم شديد في جنبه.

كان يعلم أنه كان مستلقيًا وهو نصف عارٍ على القمامة وهو يسمح لخفاش طائر بأن يشرب من دمه.

مع صرخة مخنوقة، رفع يده ونزع عنه الخفاش المرفرف. رماه بعيدًا عنه. وعاد، وهو يرفرف بجناحيه كالمروحة على وجه (جول).

ترنح (جول) وهو ينهض.

تحسس بحثًا عن الباب. بالكاد كان يستطيع أن يرى. حاول إيقاف نزيف حلقه.

تمكن من فتح الباب.

بعدها، ترنح في الساحة المظلمة، سقط على وجهه بين أوراق العشب الطويلة.

حاول أن يصرخ طلبًا للمساعدة.

ولكن لم يخرج من شفتيه أي صوت سوى بعض الكلمات الغير مفهومة.

سمع صوت الأجنحة التي كانت ترفرف.

بعدها، فجأة، اختفت.

رفعته بلطف أصابع قوية. بعينين محتضرتين، رأى (جول) الرجل القاتم الطويل الذي لمعت عيناه مثل الياقوت. قال الرجل:

- ابني...!

---

(1) يقصد المؤلف ان يصدر صوتا مثل الدجاج

(2) مثل سكين الجيب

فستان من الحرير الأبيض

الهدوء هنا وفي كل داخلي...

حبستني جدتي في غرفتي ولا تسمح لي بالخروج...

لأن الأمر قد حصل كما تقول هي. أعتقد أني كنت فتاة سيئة. كان الموضوع فقط هو الفستان. أعني فستان أمي. لقد رحلت إلى الأبد...

جدتي تقول إن أمك قد أصبحت في الجنة...

لا أعرف كيف...

هل يمكنها الذهاب إلى الجنة إن كانت ميّتة؟

الآن أنا أسمع صوت جدتي...

إنها في غرفة أمي...

إنها تضع فستان أمي في الصندوق...

لماذا تفعل هذا دائمًا؟

وهي تقفله أيضًا...

أتمنى لو أنها لم تفعل ذلك، إنه فستان جميل ورائحته جميلة جدًا.

وهو دافئ. أحب ملمسه على خدي. لكنني لن أستطيع أبدًا لمسه بخدي مرة أخرى. أعتقد أن هذا هو سبب غضب جدتي مني.

لكنني لست متأكدة. طوال اليوم كان الحال فحسب مثل كل يوم.

جاءت (ماري جين) إلى منزلي، إنها تسكن في الجانب المقابل من الشارع. إنها تأتي كل يوم إلى بيتي وتلعب معي. اليوم كان هذا سبب زيارتها.

لدي سبع دمى وشاحنة إطفاء.

اليوم قالت جدتي العبي بالدمى خاصتك فقط.

إياكِ أن تدخلي غرفة أمك...

هي دائمًا تقول هذا....

إنها تعني ألا أبعثر الأشياء على ما أعتقد....

لأنها تقول هذا دائمًا. لا تدخلي غرفة أمك. هكذا...

ولكن غرفة أمي جميلة...

عندما يهطل المطر أذهب إلى هناك...

أو عندما تأخذ جدتي قيلولتها...

أنا لا أصدر أي صوت.

أنا فقط أجلس على السرير وأتلمس غطاءه الأبيض. كما كنت أفعل عندما كنت فتاة صغيرة فقط. رائحة الغرفة حلوة.

أتظاهر بأن أمي ترتدي ملابسها وأنه يُسمح لي بالدخول...

أشم رائحة فستانها المصنوع من الحرير الأبيض...

كان ملبسها عند الخروج ليلًا...

هكذا وصفته ولا أتذكر متى.

أسمعه وهو يتحرك في حال أنصتُّ جيدًا...

أتظاهر بأنني أراها جالسة أمام منضدة الزينة. أعني، أنني ألمس العطر أو شيء كهذا. وأرى عينيها الداكنتين. أستطيع أن أتذكر.

من الجميل أنها كانت تمطر وأرى عينين على النافذة...

يبدو المطر وكأنه عملاق ضخم في الخارج يقول «شششش» حتى يسكت الجميع...

أحب التظاهر بذلك في غرفة أمي.

أكثر شيء أحبه هو الجلوس أمام المنضدة التي تخص أمي. لونها وكأنه وردي وهي كبيرة الحجم ورائحتها جميلة جدًا....

المقعد الذي أمامها فيه وسادة مُخيّطة به...

هناك الكثير من الزجاجات التي فيها انبعاجات وبداخلها عطور ملونة. ويمكنك أن ترى نفسك في المرآة بشكل كامل تقريبًا.

عندما أجلس هناك أتظاهر بأنني أمي...

أقول اهدأي يا أمي أنا ذاهبة للخروج وأنتِ لا يمكنك أن تمنعيني...

إنه شيء أقوله ولا أدري لماذا أسمعه بداخلي...

وأوه، توقفي عن البكاء يا أمي، لن يتمكنوا من الإمساك بي، لدي ثوبي السحري.

عندما أتظاهر، أقوم بتمشيط شعري وهو طويل. لكنني أستخدم فقط الفرشاة الخاصة بي التي أحضرها من غرفتي. لم أستخدم فرشاة أمي مطلقًا. لا أعتقد أن جدتي غاضبة مني بسبب ذلك لأنني لا أستخدم فرشاة أمي أبدًا. لا يمكن أن أستخدمها أبدًا.

أحيانًا كنت أفتح الصندوق. لأنني أعرف أين تضع جدتي المفتاح. رأيتها ذات مرة عندما لم تكن تعرف أنني رأيتها. إنها تضع المفتاح على الخطاف في خزانة أمي. أعني وراء الباب.

تمكنت من فتح الصندوق عدة مرات...

هذا لأنني أحب أن أنظر إلى فستان أمي...

أكثر شيء أفضله هو النظر إليه...

إنه جميل جدًا وملمسه ناعم وحريري...

يمكنني الاستمرار بلمسه لمليون سنة...!

أجثو على السجادة المرسوم عليها الورود...

أحمل الفستان بين ذراعيّ وأتنفس به. أضعه على خدي لألمسه...

أتمنى لو أنني أستطيع أن آخذه لينام معي وأحضنه...

أود فعل ذلك...

لكن الآن لا أستطيع....

لأن جدتي تقول إنه لا يمكنني ذلك...

وتقول إنني يجب أن أحرقه لكنني أحبه كثيرًا...

وهي تبكي عند رؤيتها الفستان...

لم أعامله أبدًا بطريقة سيئة. كنت أعيده إلى مكانه بشكل مرتّب وكأنه لم يُمس. جدتي لم تعرف عن الأمر أبدًا.

ضحكت لأنها لم تعرف أبدًا من قبل. لكنها الآن تعلم أنني فعلت هذا على ما أعتقد. وسوف تعاقبني. كيف أذاها هذا؟

ألم يكن هذا فستان أمي؟

أكثر ما أحبه في غرفة أمي هو النظر إلى صورة أمي...

لديها شيء ذهبي حولها...

«إطار» هو ما تقوله جدتي...

إنها على الحائط فوق المكتب...

أمي جميلة. تقول جدتي كانت أمك جميلة. لماذا تقول هذا؟

أنا أرى أمي هناك وهي تبتسم لي وهي جميلة. وإلى الأبد.

شعرها أسود. مثل شعري. عيناها حتى جميلة مثل اللون الأسود. فمها أحمر، أحمر جدًا. أنا أحب الفستان وهو نفسه الفستان الأبيض. إنه معلّق على كتفيها. بشرتها بيضاء، بيضاء تقريبًا مثل لون الفستان. وكذلك يداها. إنها جميلة جدًا. أنا

أحبها حتى لو أنها رحلت إلى الأبد. أنا أحبها كثيرًا.

أعتقد أن هذا ما جعلني سيئةً...

أعني مع (ماري جين).

جاءت (ماري جين) بعد تناول الغداء كما تفعل دائمًا...

ذهبت جدتي لتأخذ قيلولتها.

قالت: إياك أن تنسي؛ لا تذهبي إلى غرفة أمك...

قلت لها: لا يا جدتي...

وكنت صادقة، ولكن حينها كنت أنا و(ماري جين) نلعب بسيارة الإطفاء.

قالت (ماري جين):

- أراهن أنه ليس لك أم، أراهن أنكِ اختلقتِ كل ذلك..

هذا ما قالته.

غضبت منها. لدي أم أعرفها...

لقد جعلتني أغضب منها لقولها إنني اختلقتُ كل هذا...

قالت إنني كاذبة...!

أعني بخصوص السرير ومنضدة الزينة والصورة وحتى الفستان وكل شيء.

قلت حسنًا سأريكِ أيتها المتذاكية.

ألقيت نظرة على غرفة جدتي...

كانت لا تزال تأخذ قيلولتها...

نزلت إلى الأسفل وطلبت من (ماري جين) أن تأتي حتى لا تعرف جدتي.

لم تعد متذاكية بعد ذلك. قهقهت بصوت خافت كما تفعل دائمًا. حتى أنها أصدرت صوتًا جبانًا عندما اصطدمت بالطاولة التي في الممر الذي في الطابق العلوي...

قلت لها أنها جبانة مثل قطة...

ردت قائلةً بأن بيتها ليس معتمًا هكذا...

وأن عتمة كهذه كان مبالغًا فيها.

دخلنا إلى غرفة أمي. كان الظلام حالكًا ولا يمكنك رؤية شيء. قلت إن هذه هي غرفة أمي التي أفترض أنني قد اختلقت الأمر كله.

كانت واقفة عند الباب ولم تكن تتذاكى حينها أيضًا.

لم تقل أي كلمة. كانت تنظر في أرجاء الغرفة. جفلت عندما أمسكت بذراعها. قلت هيا، تعالي.

جلست على السرير وقلت إن هذا هو سرير أمي، انظري كم هو ناعم...

لم تقل شيئًا...

قلت: أيتها الجبانة...

قالت إنها ليست كذلك، كما تفعل دائمًا.

طلبت منها الجلوس، كيف يمكنك معرفة ما إذا كان ناعمًا أم لا إن لم تجلسي...

جلست بجانبي...

قلت لها تحسسي كم هو ناعم...

كم رائحته حلوة.

أغمضت عينيّ، ولكن لم يكن الأمر غريبًا، كما هو دائمًا...

لأن (ماري جين) كانت موجودةً هناك...

قلت لها أن تتوقف عن تحسس الغطاء...

قالت إنني أنا من طلبت منها ذلك.

قلت: حسنًا توقفي عن فعل ذلك.

انظري، قلتها وأنا أجرها لكي تقف...

هذه منضدة الزينة.

أخذتها وأحضرتها إلى المنضدة.

وهي قالت اتركيني.

كانت الغرفة هادئة للغاية كما هو الحال دائمًا...

بدأت أشعر بالسوء، لأن (ماري جين) كانت موجودة.

لأنها كانت في غرفة أمي وما كان وجود (ماري جين) هناك

ليُعجب أمي.

لكن كان عليّ أن أريها الأشياء لهذا السبب.

أريتها المرآة. نظرنا إلى بعضنا البعض فيها. بدت بيضاء...

قلت إن (ماري جين) جبانة...

قالت: أنا لست كذلك، على أي حال لا أحد منزله هادئ هكذا ومعتم في داخله.

على أي حال قالت إن رائحة المكان كريهة.

غضبت منها...

قلت: لا، رائحته ليست كريهة.

قالت: بل هي كذلك، أنت قلت إن رائحته كريهة.

أصبحت أكثر غضبًا. قالت إن رائحته مثل رائحة السكر. رائحة غرفة أمك مثل رائحة المرضى.

قلتها لها: لا تقولي إن غرفة أمي مثل المرضى.

قالت: حسنًا، أنت لم تُريني أي فستان وأنت تكذبين؛ ليس هناك أي فستان. شعرت بالحرارة في داخلي لذلك شددت شعرها.

قلت: سأريكِ، سترين فستان أمي ومن الأفضل لك ألّا تدعيني بالكاذبة.

أرغمتها على الوقوف بلا حراك وأخذت المفتاح من على

الخطاف.

وجثوت على ركبتيّ.

فتحت الصندوق بالمفتاح.

وقالت (ماري جين) أف إن رائحته مثل رائحة القمامة.

غرست أظافري فيها وهي ابتعدت عنّي وغضبت...

قالت: إياك أن تقرصيني وكان لونها قد تحوّل إلى الأحمر

قالت: سأخبر والدتي بما فعلتِ.

وقالت: على أي حال هذا ليست ثوبًا أبيضًا، بل هو قذر وقبيح.

قلت: إنه ليس قذرًا.

قلت هذا بصوت عالٍ جدًا وأتساءل لماذا لم تسمعني جدتي.

أخرجت الفستان من الصندوق. رفعته لها لترى كيف أنه أبيض. هبط مفتوحًا مثل المطر وهو يهمس ولمس طرفه السجادة.

قلت: إنه شديد البياض، كله أبيض ونظيف وناعم كالحرير.

قالت: لا...

كانت غاضبة جدًا ومحمرّة، إن به ثقبًا...

ازددت غضبًا...

قلت: لو كانت أمي هنا للقنتكِ درسًا.

قالت: ليس لديك أم كل شيء قبيح. أنا أكرهها.

لدي أم...

قلت هذا بصوت عال. أشرت بإصبعي إلى صورة أمي.

قالت حسنًا من يستطيع أن يرى في هذه الغرفة الغبية المعتمة.

دفعتها بقوة واصطدمت بالمكتب. ثم قلت انظري، أعني انظري إلى الصورة. هذه هي أمي وهي أجمل سيدة في العالم.

قالت (ماري جين):

- إنها قبيحة لديها يدان غريبتان.

قلت: ليس صحيحًا، إنها أجمل سيدة في العالم!

قالت: كلا، كلا، لديها أسنان كأسنان الظبي.

لا أتذكر حينها...

أعتقد أن الفستان تحرك بين ذراعي...

صرخت (ماري جين)...

لا أذكر ماذا قالت...

أظلمت الغرفة وأغلقت الستائر على ما أظن، لم أستطع رؤية شيء على أي حال...

لم أستطع سماع أي شيء سوى «أسنان الظبي يدان

غريبتان أسنان الظبي يدان غريبتان»، حتى عندما لم يكن أحد يقول هذه الكلمات.

كان هناك شيء آخر لأنني أعتقد أنني سمعت أحدًا يصرخ وهو يقول لا تدعيها تقول ذلك ولم أتمكن من التمسك بالفستان.

وكنت أضعه عليّ، لا أستطيع أن أتذكر...

لأنني كبرت وأصبحت قوية...

لكنني كنت لا أزال طفلة صغيرة على ما أعتقد، أعني من الخارج...

أعتقد أنني كنت سيئة للغاية حينها.

أبعدتني جدتي من هناك على ما أعتقد...

لا أدري. كانت تصرخ قائلة فليساعدنا الله لقد حدث لقد حدث...

مرارًا وتكرارًا. ولا أدري لماذا...

قامت بجرّي على طول الطريق إلى هنا، إلى غرفتي وحبستني فيها...

إنها لا تسمح لي بالخروج. حسنًا أنا لست خائفة كثيرًا. من يهتم إن حبستني لمليون مليار سنة؟

ليس عليها حتى أن تحضر لي العشاء.

أنا لست جائعةً على أي حال.

أنا شبعانة(1).

---

(1) هل هي قصة شبح؟ مصاص دماء؟ هل هي في الواقع قصة طبيعية لفتاة تحب أمها المتوفاة وتتظاهر بأنها لا تزال تحت تأثيرها بطريقة أو بأخرى عندما تتحول إلى العنف ضد صديقتها؟

حرص (ريتشارد ماثيسون) على جعل النهاية مبهمة، حيث من الممكن ان تكون القصة مختلفة تبعًا لتفسير القارئ... فنتساءل حينها هل هي قصة عن ساحرة؟ او طفل مستحوذ من قبل الشيطان؟ كل هذه التفسيرات المحتملة تشير إلى شيء واحد: إنها قصة غريبة وكتبت بأسلوب رائع من (ريتشارد ماثيسون)